**جامعة الأزهر الشريف**
**كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة**
**قسم الأديان والمذاهب**

# أصالة القرآن وهيمنته في قصص الأنبياء
# شعيب عليه السلام وقومه نموذجا
# دراسة مقارنة مع العهد القديم

**إعداد**
**ناصر محمد السيد إسماعيل**
**مدرس بقسم الأديان والمذاهب**

**ملخص البحث:**

**خرج الباحث بمجموعة من النتائج تتلخص فيما يلي:**

**إن عرض الإسلام لقصة شعيب عليه السلام يمثل نموذجا حقيقيا لأصالة القصص القرآني وهيمنته على تحريفات أهل الكتاب، فأين الابتسار والنقص الذي في عرض العهد القديم من القصص المتكامل في القرآن الكريم لقصة من أهم قصص الأنبياء، قصة أصيلة في تناولها لجانب من أهم جوانب الحياة، وتدل دلالة واضحة على أن هذا الدين جاء ليسوس ويحكم.**

**لقد عرض العهد القديم صورة حمي موسى عليه السلام كرجل حكيم أحسن إليه، وخلفه بخير في أهله، وذلك في بضع فقرات من كتاب شيمته الأساسية الإسهاب الواضح، وإذا به يكتفي بعرض حياة هذا الرجل الصالح في فقرات قليلة شحيحة في معطياتها.**

**وهنا ينتصب القرآن الكريم مصدقا ومهيمنا، ويعرض لنا صفحة من أروع صفحات قصص الأنبياء، تحتاج إليها الأمة في تصحيح حاضرها وبناء مستقبلها.**

**لقد رُزأت ديار الإسلام بطائفة من البشر تبجحوا برفض شريعة الله تعالى حَكَمًا بين الخلق، وقبسا يسيرون في هديه، ورفعوا بدلا منها قوانين البشر تُجتَلب من هنا أو من هناك، وفي هذا خلل في التفكير، وضلال في القلوب وصغار في النفوس، وليس لهم مرجعية في دعواهم هذه إلا التقليد الأعمى لأوروبا التي عزلت الكنيسة ورجالها عن واقع الحياة؛ إذ كان رجال الدين عندهم صداعا مُشَتّتا، وكابوسا على صدور البلاد والعباد، ولما تخلصوا من سيطرة الكنيسة تقدموا وترقوا، فظن العميان ممن يسمون أنفسهم بالتنويرين أن التقدم والرقي في بلادنا قرين عزل الإسلام عن واقع الحياة، وتحويله إلى تراتيل وأذكار، وهذا والله تعميم فاسد، فضلا عن كونه تطاولا على الله، وسوء ظن في شريعته جل وعلا، وعمى عن الحق.**

**ولقد كانت هذه الصفحات السابقة دليلا على شمولية الإسلام، وعلى أنه نظام شامل يتناول كل مظاهر الحياة، وأنه دين ودولة، وليس مجرد عبادات تقام معزولة عن تدبير شئون الخلق فيما بينهم بعضهم بعضا، وفيما بينهم وبين غيرهم.**

**فهذا نبي ورسول ينزل الله تعالى عليه شريعة نصفها التوحيد، والنصف الآخر إصلاح الخلل الاقتصادي الذي رزحوا تحت نيره، وأرهقوا به الخلق وأغضبوا به الخالق سبحانه وتعالى.**

**فتبين لنا اهتمام القرآن الكريم بإصلاح معايش الناس، ووضْع أسس عادلة تأخذ على يد المعتدين، وتضمن للناس حياة في ضوء شريعة الباري سبحانه وتعالى ورحمته ولطفه بخلقه.**

**الكلمات الدلالية: أصالة القرآن–هيمنة–قصص–الأنبياء–شعيب–العهد القديم.**

**مقدمة:**

**الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد.**

**فلقد درج كثير من المستشرقين على اعتبار الإسلام نسخة من اليهودية والنصرانية، وذلك في شكل من أشكال التشنيع على هذا الدين، ومحاولة لصرف نظر الأوروبيين عن جلال هذا الدين وأصالته.**

**يقول المستشرق اليهودي المجري "جولد تسيهر"[١]. إن (تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثرا عميقا، والتي رآها جديرة بأن توقظ في بني وطنه عاطفة دينية صادقة، فأصبحت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما أصبح يعتبر هذه التعاليم وحيا إلهيا) [٢].**

**ورددت دائرة المعارف الإسلامية هذه الشبهة أيضا في كثير من المواد التي تناولتها ومنه مادة القرآن الكريم، فاتخذت من التشابه اللفظي بين بعض مفردات العبادة في الإسلام ونظائرها في اليهودية ذريعة لدعم الادعاء باستسقاء الإسلام من اليهودية، متغافلة عن أن الجذر اللغوي للغات السامية –ومنها العربية**

---

(١) جناس جولدتسهير: ١٨٥٠-١٩٢١م " تخرج على كبار أساتذة اللغات السامية فى بودابست وليبزيج وبرلين وليدن، عين أستاذاً محاضراً فى كلية العلوم بجامعة بودابست ١٨٧٣م، جمع مكتبة أربت على ٤٠ ألف مجلد فى العلوم والفقه والفلسفة والفنون واللغة والأدب، من مؤلفاته، العقيدة والشريعة فى الإسلام، وغير ذلك من الآثار، المستشرقون – أ/ نجيب العقيقى جـ٣ صـ٤٠-٤١- بدون ت – دار المعارف – القاهرة.

(٢) جولد تسيهر- العقيدة والشريعة صـ١٢ بتصرف – ترجمة محمد يوسف وآخرون- دار الكتاب المصري- القاهرة –مصر.

**والعبرية– واحد، وأنه طبيعي أن تتشابه بعض الكلمات ليس فقط في مجال العبادات بل وفي مجالات أخرى كثيرة(١).**

**ويؤكد هذه الشبهة اليهودي الألماني "إبراهام جيجر" "Abraham Geiger" في كتاب له بعنوان "ماذا اقتبس محمد من اليهودية" فيقول :"إن القرآن مأخوذ باللفظ أو بالمعنى من كتب اليهودية"(٢).**

**وهذا البحث الذي بين أيدينا هو رد بإعطاء نموذج على تصديق القرآن الكريم وهيمنته على الكتب السابقة، تصديقا لقول الباري جل وعلا ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًاعليه ﴾(٣).**

**فبينما يتفق القرآن الكريم مع الكتب السابقة في سرد بعض القصص عن أنبياء الله ورسله؛ ذلك أن مصدر هذا الكتب واحد، إذا بالقرآن يتميز في نفيه ما لا يقبله العقل البشري السليم من سيئات القول والفعل التي تُنسب إلى أنبياء الله ورسله، بل إلى رب العالمين جل جلاله، فنجد القرآن الكريم ينقي السرد القصصي من لوثات التحريف التي شان بها أعداء الله من اليهود والنصارى كتبهم، واشتروا بآيات الله ثمنا قليلا.**

**إننا بصدد الحديث عن قصة شعيب عليه السلام في القرآن الكريم، والبحث عن نظيرها في العهد القديم، أو التوراة المحرفة، وما تميز به القرآن الكريم في ذكر هذه القصة، مما مهد لجعل قصة شعيب عليه السلام في القرآن الكريم فريدة في الإشارة إلى الجانب الاقتصادي في الإسلام، حيث أرسل الله تعالى رسولا يعالج أمر العقيدة، والانحراف الاقتصادي عند قومه والذي كان أظهر أدوائهم، وأشنع أفعالهم.**

---

(١) كتب الباحث في أطروحته لنيل درجة "العالمية" الدكتوراة عن شبهة التشابه اللفظي بين مفردات العربية والعبرية، في مبحث كامل من الفصل التمهيدي من الرسالة.

(٢) أبدع الأستاذ العقاد في كتابه "ماذا يقال عن الإسلام" في بيان أن العكس هو الصحيح وأن اليهود والنصارى قد اقتبسوا من الإسلام في خدمة كتبهم وأديانهم

(٣) سورة المائدة: ٤٨.

**والله أسأل أن يأخذ بيدي إليه أخذ الكرام عليه، وأن يهديني سواء السبيل، وأن يرزقني التوفيق والسداد، هو ولي كل خير وحسنة، وهو حسبي ونعم النصير.**

**منهج البحث:**

**وسوف أصطحب – بعد عون الله تعالى وتوفيقه– من أساليب البحث العلمي في معالجة هذا الموضوع المناهج التالية:**

**المنهج التاريخي:**

**يعتمد المنهج التاريخي أو الاسترادي (على استرداد ما كان في الماضي، ليتحقق من مجرى الأحداث، والتحليل القوي للمشكلات التي صاغت الحاضر)[١] (وهو المنهج المستخدم في العلوم التاريخية والأخلاقية)[٢].**

**المنهج التحليلي:**

**والمقصود بالمنهج التحليلي تحليل الموضوع إلى عناصره الأولية وتحديد الأخطاء المنطقية في المعارف.. وهو منهج يقف على العلاقات بين الحقائق أو الفرضيات أو الاستنتاجات)[٣]، وقوام هذا الأسلوب البحثي التعرف على جزئيات الظاهرة أو موضوع البحث مما يمكن من تحديد التفاعل بينه وبين نتائجه)[٤].**

**المنهج النقدي:**

**القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مرجعيتنا الأولى عند محاكمة عقائد الآخرين ومذاهبهم الفكرية، قال الله تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ**

---

(١) د/ محمد زيان عمر– البحث العلمي مناهجه وتقنياته صـ٣٢–دط–١٣٩٤هـ=١٩٧٤م–جدة–السعودية.

(٢) د/عبد الرحمن بدوي– مناهج البحث العلمي صـ٦٨–دط–١٩٦٣م– دار النهضة العربية–القاهرة–مصر.

(٣) منظمة العمل العربية– ورقة عمل بعنوان "التجربة الأردنية في إعداد المعايير المهنية) مؤسسة التدريب المهني– إعداد مدير البرامج والاختبارات المهندس صالح حرب– بتصرف– ٢٧: ٢٩/ ٦/ ٢٠٠٦م– القاهرة– مصر.

(٤) www.arlamani.org/vol-4/anthropology-4/zar/zar2-htm

**يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾[1] إلا أن غير المسلمين في محاجتنا لهم لا يقبلون هذه المرجعية، ولذا كان لزاما العودة إلى ما يتفقون معنا عليه وهو المنطق والتجربة، مع استنارتنا بمعطيات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ولا يخفى أن حجج القرآن والسنة حجج عقلية في المقام الأول.**

**إن الوسائل المستخدمة في المنهج والتفسير النقدي (هي التجربة والمنطق، وكذا مستوى رفيع من الإمكانيات العقلية يتطلبها التفسير النقدي؛ لأنه ينطوي بالضرورة على حكم شخصي مبني على الأسباب المنطقية ويستند إلى التعليل المقبول والمعقول...**

---

(1) سورة المائدة من آية :٤٨

**ويتميز الأسلوب النقدي في المعالجة بثلاث خصائص أساسية هي:**

**١–قيام الجدل على حقائق ومبادئ معروفة في المجال الذي أجريت فيه الدراسة أو على الأقل يتفق معها.**

**٢–وضوح الحجج ومعقوليتها، ومنطقية التعميمات والاستنتاجات، وأن تكون الخطوات التي قادت إلى هذه الاستنتاجات سهلة البرهان من الوقائع والمقدمات.**

**٣–أن يكون الرأي الاستنتاجي للباحث مبنيا على الحقائق والبيانات المقبولة في مجال البحث ومدعومة بالمنطق والبرهان)[١]. والله من وراء كل قول وفعل وهو الهادي إلى سواء الصراط.**

**تمهيد:**

**خلق الله الإنسان وجعله الكائن المتميز في هذا الكون، وأمره بعمارة الأرض وتعبدها له سبحانه، وجعل المال قسيم الرسالات السماوية في إقامة الكون على منهاج الله تعالى، فالمال قوام الحياة، به تكون عمارة الأرض وتسد الحاجات، وتقضى الديون، ويطعم الجائع ويكسى العُريان، وغير ذلك من صور العمارة التي أمر الله بها، وأرسل الله الرسل وأنزل الكتب لضبط حركة الحياة على الأرض، فلا يحيد الإنسان عن منهج الله على مستوى سياسة النفس، وسياسة الدنيا، وما حدث فساد في الأرض ولا اعوجاج في السلوك إلا لبُعد الإنسان عن منهج الله، وجعله أوامر الله وراءه ظهريا.**

**ومن ثم فإن معالجة الانحراف المادي لا يقل أبدا – في الأهمية – عن معالجة الانحراف المعنوي، ومن أجل ذلك سيقف البحث طويلا عند الانحرافات الاقتصادية عند قوم شعيب عليه السلام باعتبارها النموذج الوحيد في قصص الأنبياء المعروف لنا الذي عالج هذا الجانب الاقتصادي بهذه الكثافة والقوة.**

---

(١) ساسي سفيان–المنهج النقدي في استخدام الأسلوب العلمي www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=28330

**وهذا الموضوع من الموضوعات التي يجب أن تطرح كثيراً ويجب أن تناقش، وتصبح قضية حية في ضمائر المسلمين، حتى ينعم الناس بالراحة والاطمئنان، والأمن والأمان، ودراستها من خلال قصة نبي الله شعيب عليه السلام، تلفت انتباهنا إلى بعد مُهم، هذا البعد هو أن الله تعالى أرسل رسولا إلى قوم ليدعوهم إلى إفراد الله تعالى بالربوبية الألوهية، ثم ليدعوهم إلى المعاملات الإنسانية الرشيدة التي يجب أن تسود بين بنى الإنسان، من العدل والإنصاف، وترك الجور والإجحاف، من الرضا بما قسم الله، والقناعة بالحلال، وعدم التطلع إلى ما في أيدي الناس ولا اشتهاء ما يملكه الآخرون، والتوصل إليه بالحيل الباطلة والطرق الخبيثة.**

**شعيب عليه السلام في العهد القديم:**

**لم يرد ذكر شعيب عليه السلام بهذا الاسم في العهد القديم، وإنما وردت عدة أسماء تشير إليه في العهد القديم وهي "يثرون"[١]. "رعوئيل[٢]." و"حُوباب[٣]." وهذا الأخير يبدو أنه اسم ابن "يثرون"**

**جاء في سفر الخروج :"وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان"[٤].**

**وجاء أيضا :"فمضى موسى ورجع إلى يثرون حَمِيِّه وقال له: أنا أذهب وأرجع على إخوتي الذين في مصر لأرى هل هم بعدُ أحياء، فقال يثرون لموسى اذهب بسلام"[٥].**

**وجاء تحت اسم "رعوئيل" ففي سفر الخروج أيضا "وكان لكاهن مديان سبع بنات فأتين واستقين وملأن الأجران ليسقين غنم أبيهن، فأتي الرعاة وطردوهن فنهض موسى وأنجدهن وسقى غنمهن فلما أتين إلى رعوئيل أبيهن قال ما بالكن أسرعتن في المجيء اليوم؟!"[٦].**

**وجاء أيضا: "وحابر القيني انفرد من قاين من بني حوباب حمي موسى"[٧].**

---

(١) بمعنى: بقيّته، تميُّزه،زيادته، وهو حمو موسى. ينظر: جمان من فضة قاموس أعلام الكتاب المقدس صـ٢٠٩– مكرم مشرقي –الطبعة الأولى– ٢٠٠٠م–مكتبة الإخوة– شبرا– مصر.

(٢) بمعنى صديق الله كما جاء في جمان من فضة قاموس أعلام الكتاب المقدس صـ٩٥. مرجع سابق.

(٣) بمعنى: محب، محبوب، وهو نسيب موسى النبي. ينظر جمان من فضة قاموس أعلام الكتاب المقدس صـ٨٢– مرجع سابق.

(٤) سفر الخروج ٣ –١.

(٥) سفر الخروج ٤: ١٨.

(٦) سفر الخروج ٢– ١٦: ١٨.

(٧) سفر القضاة ٤ – ١١.

**ودائرة المعارف الكتابية تقدم لنا تفسير لهذا الاختلاف في الاسم فتقول:**
**("يثرون": اسم مدياني معناه "وفرة أو تفوق"، وهو اسم كاهن "مديان" أو أمير "مديان"، إذ يبدو أنه كان يشغـل كلا المركزين.**
**علاقة "يثرون برعوئيل وحُوباب: ليس من السهل تحديد هذه العلاقة، فإذا قلنا إن "يثرون" هو نفسه "رعوئيل" فيجب أن نربط حَمِيَّ موسي مباشرة برعوئيل، ويكون "حُوباب" بن رعوئيل أخا لصفورة زوجة موسى، ولكن من المحتمل أن كلمة "حَمِيّ" (وهى فى العبرية: "خوتن") كانت تُستخدم بالمعنى الواسع للدلالة على أحد أقرباء الزوجة) (١).**
**ولن نقف طويلا عند هذا الاختلاف في الاسم فلعل "حوباب" فعلا هو ابن رعوئيل أو يثرون، ولعل يثرون هو الاسم الحقيقي له ورعوئيل لقب، ويعزز كونه لقبه نسبته إلى "إيل" وهو الله بلسانهم.**
**ولكن السؤال الذي يمكن أن يُطرح هنا هو: هل الرجل الصالح الذي لقيه موسى عليه السلام في مدين هو شعيب عليه السلام؟**
**لن نستطيع أن نجيب على هذا السؤال من خلال العهد القديم، فالعهد القديم لم يُعطنا إلا هذه القصة عن كاهن مدين، ولا ذكر لشعيب عليه السلام كما هو في القرآن الكريم، ولا أخبار عن قومه، ولا عن دعوته وقصته معهم.**
**ومن ثمّ فلا خيار إلا أن نتوجه إلى آراء المفسرين المسلمين في بيان هذه المسألة.**
**آراء المفسرين في قوله تعالى ﴿ وأبونا شيخ كبير ﴾:**
**في قوله تعالى على لسان بنتي شعيب ﴿ وأبونا شيخ كبير ﴾ قال أبو العباس ابن عجيبة (هو شعيب بن نويب بن مدين بن إبراهيم عليهما السلام، وقيل: هو**

---

(١) دائرة المعارف الكتابية – حرف الياء– مادة يثرون.

**"يثرون" ابن أخي شعيب، وكان شعيب قد مات بعدما كُفّ بصره، ودفن بين المقام وزمزم، والأول أصح وأشهر) [١].**

**وقال الإمام القرطبي (ويثرون هو شعيب ﷺ وقيل: ابن أخي شعيب، وأن شعيبا كان قد مات، وأكثر الناس على أنهما ابنتا شعيب ﷺ، وهو ظاهر القرآن، قال الله تعالى ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيبا" كذا في سورة الأعراف، وفي سورة الشعراء: ﴿ كذب أصحاب الأيكة المرسلين إذ قال لهم شعيب ﴾ قال قتادة: بعث الله تعالى شعيبا إلى أصحاب الأيكة وأصحاب مدين) [٢].**

**وجاء في تفسير ابن أبي حاتم( حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن قرة بن خالد قال: سمعت الحسن البصري يقول: يعني قوله: ﴿ فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ﴾، يقولون: شعيبٌ وليس بشعيب، ولكنه سيد الماء يومئذ)[٣].**

**وقال وهب وسعيد بن جبير وأبو عبيدة بن عبد الله: هو يثرون بن أخي شعيب)[٤].**

---

(١) أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس– البحر المديد في تفسير القرآن المجيد جـ٥ صـ٣٩٥ – الطبعة الثانية–١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م–دار الكتب العلمية–بيروت– لبنان.

(٢) أبو عبد الله القرطبي– الجامع لأحكام القرآن الكريم جـ١٣ صـ٢٧٠.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم– سورة القصص– قوله عز وجل ﴿ قالت إن أبي يدعوك ﴾ حديث رقم ١٥٧٦٥. وانظر: الدر المنثور للسيوطي جـ٦ صـ٤٠٧– ١٩٩٣م– دار الفكر– بيروت.

(٤) أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري– الكشف والبيان جـ٧ صـ٢٤٤– الطبعة الأولى–١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م– دار إحياء التراث العربي–بيروت– لبنان.

**وقيل: (هو رجل صالح ليس من شعيب بنسب، وقيل إن المرأتين إنما كان مُرْسِلُهُما عمهما وهو كان صاحب الغنم، وهو المُزوّج ولكن عَبَّر عن العم بالأب في جميع الأمر إذ هو بمثابته) [١].**

**وجاء في بحر العلوم (إن هذا الرجل اسمه "نيرون"[٢]. ابن أخي شعيب، وشعيب كان توفي قبل ذلك، وقال عامة المفسرين: إن هذا كان شعيبا) [٣].**

**وقال الفخر الرازي (ليس في القرآن ما يدل على أن أباهما كان شعيبا، والناس مختلفون فيه)[٤].**

**وأختم هذه الآراء برأي الإمام ابن كثير رحمة الله على الجميع، يقول: (اختلف المفسرون في هذا الرجل: مَن هو؟ على أقوال: أحدها أنه شعيب ﷺ الذي أرسل إلى مدين، وهذا هو المشهور عند كثيرين، وقد روى الطبراني عن سلمة بن سعد العنزي أنه وفد على رسول الله ﷺ فقال له: مرحبا بقوم شعيب وأختان موسى هُديت"[٥]. وقال آخرون: بل كان ابن أخي شعيب. وقيل: رجل مؤمن من قوم شعيب. وقال آخرون: كان شعيب قبل زمان موسى ﷺ بمدة طويلة؛ لأنه قال**

---

(١) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز جـ٤ صـ٣٣٥ - الطبعة الأولى- ١٤١٣هـ=١٩٩٣م- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

(٢) نلاحظ في النقول عن كتب التفسير اختلاف التسمية، ما بين (نيرون، ثبرون، أثرون) ولعله تصحيف، والمرجع في هذا ما جاء في العهد القديم؛ إذ الجميع ناقل عنها اسم هذا الرجل، وبالتالي فالراجح من الأسماء "يثرون".

(٣) أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي- بحر العلوم جـ٢ صـ٦٠٥- تحقيق د. محمود مطرجي- دط- دت- دار الفكر - بيروت- لبنان.

(٤) محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي- تفسير الفخر الرازي جـ٢٤ صـ٥٩٦- دار إحياء التراث العربي- القاهرة-مصر.

(٥) وفي معجم الصحابة لابن قانع بسند عن سلمة أنه وفد إلى النبي ﷺ فقال: بخ بخ، نعم الحيُّ عَنَزَة، مَبْغيٌّ عليهم منصورون، مرحبا بعنزة قوم شعيب وأختان موسى ﷺ". معجم الصحابة لابن قانع -سلمة بن سعد بن صُريم بن همام بن كاهل العَنَزيُّ حديث رقم ٥١٣.

**لقومه ﴿ وما قوم لوط منكم ببعيد ﴾، وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل بنص القرآن، وقد عُلم أن بين موسى والخليل عليهما السلام مدة طويلة تزيد على أربعمائه سنة كما ذكره غير واحد. وما قيل: إن شعيبا عاش مدة طويلة، إنما هو –والله أعلم– احتراز من هذا الإشكال، ثم من المقوي لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إياه لأوشك أن يُنَصَّ على اسمه في القرآن هاهنا، وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة موسى لم يصح إسناده..ثم من الموجود في كتب بني إسرائيل أن هذا الرجل اسمه "ثبرون" والله أعلم. وقال أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود: وأثرون وهو ابن أخي شعيب عليه السلام. وعن أبي حمزة عن ابن عباس: الذي استأجر موسى "يثرى" صاحب مدين، رواه ابن جرير، قم قال: الصواب أن هذا لا يدرك إلا بخبر، ولا خبر تجب به الحجة في ذلك)** [1].

**الرأي الراجح:**

**يرى الباحث أن القول بأنه ليس شعيبا عليه السلام هو الأقرب إلى الصواب، إذ لو كان شُعيبا لنص عليه القرآن الكريم، كما أن بُعد الزمن المنطقي بين زمن شعيب عليه السلام وبين موسى يجعل من الصعب أن يكون هو هو، وما يستشهد به المؤيدون لكونه شعيبا من أحاديث، فإنها لا تثبت كما أشار الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى.**

**وعلى أية حال، فلو افترضنا أنه شعيب عليه السلام، فإننا سنقف على قصة غير مكتملة، و إهمال تام لنبي من أنبياء الله ورسله جاء إلى قومه برسالة وشريعة، ويُمثل ذكرُه في القرآن الكريم ركنا ركينا من أركان التوجيه والإرشاد في حياة هذه الأمة الإسلامية.**

**خلاصة قصة "شعيب" أو "حمي موسى" كما جاءت في العهد القديم:**

---

(1) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي – تفسير القرآن العظيم جـ٦ صـ٢٢٨، ٢٢٩ بتصرف– الطبعة الثانية– ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م– تحقيق سامي بن محمد سلامة– دار طيبة للنشر والتوزيع– السعودية.

**من خلال نصوص الكتاب المقدس، تُلخص لنا دائرة المعارف الكتابية قصة حَمِيّ موسى عليه السلام في عدة نقاط نوجزها فيما يلي:**

**١-ذكر لقائه بموسى عن طريق سقيه لابنتيه الغنم، وأن الرجل الصالح دعاه ليكرمه وزوجه ابنته صفورا، ولم يذكر التفصيلات التي ورد ذكرها في القرآن في سورة القصص.**

**جاء في سفر الخروج (وكان لكاهن مديان سبع بنات فأتين و استقين و ملأن الأجران ليسقين غنم أبيهن فأتى الرعاة و طردوهن فنهض موسى و انجدهن و سقى غنمهن فلما أتين إلى رعوئيل أبيهن قال ما بالكن أسرعتن في المجيء اليوم فقلن رجل مصري أنقذنا من أيدي الرعاة و انه استقى لنا أيضا و سقى الغنم فقال لبناته و أين هو لماذا تركتن الرجل ادعونه ليأكل طعاما فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل فأعطى موسى صفورة ابنته) [١].**

**ويوازيه في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[٢].**

---

(١) سفر الخروج ٢- ١٦: ٢٢.

(٢) سورة القصص ٢٣: ٢٨.

**تقول دائرة المعارف الكتابية: عندما هرب موسي من مصر بعد قتله الرجل المصري، وجد ملجأ له في مديان حيث رحب به يثرون فى بيته لما أسداه من معونة لبناته عند البئر لسقي غنم أبيهن، وزوَّجه من صفورة إحدى بناته، وبعد أن قضى موسى نحو أربعين سنة يرعى غنم حميه، ظهر له الرب في العليقة المشتعلة، وأمره بالعودة إلى مصر لإخراج إخوته المستعبدين في مصر، وإنقاذهم من يد فرعون، فأستأذن موسى حماه في العودة إلى مصر، فقال له: اذهب بسلام.**

**٢-زيارته لموسي في البرية: عندما سمع يثرون كاهن مديان حمو موسى بكل ما صنع الله إلى موسى وإلى إسرائيل شعبه ... أخذ يثرون ... صفورة امرأة موسى ... وابنيها ... وأتى يثرون حمو موسى وابناه وامرأته إلى موسى إلى البرية حيث كان نازلاً عند جبل الله ... فخرج موسى لاستقبال حمية " وبعد تبادل التحيات، "قص موسى على حميه كل ما صنع الرب بفرعون والمصريين من أجل إسرائيل. فقال يثرون: "مبارك الرب الذي أنقذكم من أيدي المصريين، ومن يد فرعون ... الآن علمت أن الرب أعظم من جميع الآلهة لأنه في الشيء الذي بغوا به كان عليهم. فأخذ يثرون حمو موسى محرقة وذبائح لله، وجاء هارون وجميع شيوخ إسرائيل ليأكلوا طعاماً مع حمي موسى أمام الله".**

**٣-مشورته الحكيمة: كان لزيارة يثرون لموسى نتائجها الباهرة؛ فقد رأى يثرون ما يعانيه موسى من القضاء للشعب من الصباح إلى المساء، فقال له: ليس جيداً الأمر الذي أنت صانع، إنك تكِلّ أنت وهذا الشعب الذي معك جميعاً، لأن الأمر أعظم منك، لا تستطيع أن تصنعه وحدك، الآن اسمع لصوتي فأنصحك، فليكن الله معك، كن أنت للشعب أمام الله، وقدم أنت الدعاوي أمام الله، وعلّمهم الفرائض والشرائع، وعرّفهم الطريق الذي يسلكون والعمل الذى يعملونه، وأنت تنظر من جميع الشعب ذوى قدرة خائفين الله أمناء مبغضين الرشوة وتقيمهم عليهم رؤساء ألوف، ورؤساء مئات، ورؤساء خماسين، ورؤساء عشرات،**

**فيقضون للشعب كل حين، ويكون أن كل الدعاوي الكبيرة – يجيئون بها إليك، وكل الدعاوي الصغيرة يقضون هم فيها، وخفف عن نفسك، فهم يحملون معك، إن فعلت هذا الأمر وأوصاك الله، تستطيع القيام، وكل هذا الشعب أيضاً يأتي إلى مكانه بسلام. فسمع موسى لصوت حميه وفعل كل ما قال له[١]، وبعد ذلك مضي يثرون إلى أرضه.**

**٤-شخصيته وتأثيره: تكشف قصة يثرون عن أنه كان رجلاً حصيفا لبقا حكيما جذابا، قوي الشخصية، يُحسن التصرف، شديد التدين، وتدين له إسرائيل، بل وكل الأمم، بفكرته الرائعة عن الفصل بين وظيفتي التشريع والقضاء، وذلك حسب ما يوصي به الله، ويجب أن تُوكَل أمور القضاء إلى أشخاص أكفاء خائفين الله أمناء مبغضين الرشوة"[٢].[٣].**

**<u>ويبقى ما تميز به القرآن الكريم من ذكره أمورا لم يذكرها العهد القديم من مثل:</u>**

**١-حال البنتين عند سقي الرعاة وذودهما الغنم خوفا من الاختلاط بغنم الرعاة.**

**٢-مجيء البنت لموسى عليه السلام على استحياء.**

**٣-طلب البنت من أبيها استئجار موسى عليه السلام.**

**٤-عرض الرجل الصالح على موسى الزواج من إحدى ابنتيه على أن يعمل ثماني سنوات عنده، ويُخَيِّرُه في أن يُتِمَّها عشرا نافلةً مِن عنده، في حين ذكر العهد القديم أنه عمل أربعين سنة، وهذا أمر يقف عنده العقل كثيرا.**

**وتبقى قصة قوم شعيب عليه السلام في القرآن الكريم شاهدة على هيمنة القرآن على الكتب السماوية، وحجة على أولئك الذين زعموا كذبا استسقاء القرآن من الكتب السابقة.**

---

(١) سفر الخروج ١٨ – ١٣: ٢٤.

(٢) خروج ١٨: ٢١.

(٣) دائرة المعارف الكتابية – حرف الياء– مادة يثرون جـ صـ بتصرف.

**والحق أنه لا يسوغ لعاقل أن يدعي هذا الادعاء عند النظرة الأولي في الفرق بين القرآن وبين العهد القديم، لما يلي:**

**١-أين ما في العهد القديم من تجسيم للخالق سبحانه وتعالى من التوحيد الخالص في الإسلام.**

**٢-أين ما افتراه العهد القديم على أنبيائه ورسله وتشويه لسيرة الأنبياء والمرسلين وأهليهم، من صورة الطهر والنقاء التي عرضها القرآن للأنبياء والمرسلين.**

**٣-أين الصلاة والزكاة والصوم والحج[١] في الإسلام من نظائرها في اليهودية؟!!!**

**٤-أين التشريع الإسلام بكماله وشموله من العنصرية المقيتة التي ينضح بها التشريع اليهودي.**

**في الصفحات التالية سأعرض لقصة شعيب عليه السلام مع قومه كما وردت في القرآن الكريم، مركزا على عناية القرآن الكريم بإبراز الخلل الاقتصادي عند قوم شعيب عليه السلام والعلاج له وإسقاط ذلك على الواقع الذي نعيشه، كدليل واضح على شمولية الإسلام، وأنه ليس مجرد تراتيل وأذكار أُريد لها أن تنتظم ألسنة المسلمين معزولة عن واقعهم وحياتهم، بل يظهر واضحا جليا عناية الإسلام بحياة الناس الاقتصادية، وتدخله الحكيم لبيان مشاكلهم، وبيان طرائق علاجها.**

**وفي طريقنا إلى الوصول إلى هذا نعطي الدليل في كل خطوة على أصالة القصص القرآني في تصديقه لصحيح ما بقي في أيدي أهل الكتاب، وتكميل ما نقصوا، وتصحيح ما شوهوه من سير الأنبياء والمرسلين.**

---

(١) رسالة الدكتوراة للباحث كانت بعنوان "شبهات المستشرقين حول العبادات في الإسلام من خلال دائرة المعارف الإسلامية دراسة نقدية، وقد عرض فيها الباحث لصورة الزكاة والعشور والصلاة عند اليهود، فتبين الفرق الواضح بين التشريع الإسلامي والتشريع اليهودي.

**حديث القرآن عن شعيب عليه السلام:**

**وردت قصة شعيب عليه السلام مع قومه في غير سورة من سور القرآن الكريم، ونجتزئ من هذا الذكر الحكيم بما يخدم موضوع هذه الورقات يقول عز من قائل:**

**﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾** [١].

**﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾**[٢].

**﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾**[٣].

**﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴾**[٤].

---

(١) سورة الأعراف الآية: ٨٥، ٨٦.

(٢) سورة هود الآيات ٨٤، ٨٦.

(٣) سورة العنكبوت الآيات ٣٦، ٣٧.

(٤) سورة هود الأية: ٨٤.

**﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾(١).**

**مسائل في هذه الآيات:**

**١-إرسال الله تعالى شعيبا عليه السلام إلى قومه من أهل مدين.**

**٢-دعوة شعيب لقومه بعبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه.**

**٣-تأييد الله تعالى لشعيب عليه السلام بمعجزة تؤكد صدق دعواه النبوة، وذلك مأخوذ من قوله تعالى ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ قال الإمام الرازي (ويجب أن يكون المراد من البينة ههنا المعجزة؛ لأنه لا بد لمدعي النبوة منها... فدلت هذه الآيات على أنه حصلت له معجزة دالة على صدقه، فإما أن تلك المعجزة من أي الأنواع كانت فليس في القرآن دلالة عليه، كما لم يحصل في القرآن الدلالة على كثير من معجزات رسولنا ﷺ. قال صاحب الكشاف: ومن معجزات شعيب أنه دفع إلى موسى عصاه، وتلك العصا حاربت التنين، وأيضا قال لموسى: إن هذه الأغنام تلد أولادا فيها سواد وبياض، وقد وهبتها منك، فكان الأمر كما أخبر عنه، ثم قال: وهذه الأحوال كانت معجزات لشعيب؛ لأن موسى في ذلك الوقت ما ادعى الرسالة) (٢).**

**وجاء في تفسير البيضاوي (يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن أنها ما هي ، وما روي من محاربة عصا موسى عليه الصلاة والسلام التنين وولادة الغنم التي دفعها إليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من أولادها ، ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع متأخرة عن هذه المقاولة ، ويحتمل أن تكون كرامة لموسى عليه السلام أو إرهاصاً لنبوته) (٣).**

---

(١) سورة الشعراء الآيات: ١٨١، ١٨٣.

(٢) تفسير الرازي جـ١٤ صـ١٤١-الطبعة الأولى-١٤٢١هـ=٢٠٠٠م-دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

(٣) تفسير البيضاوي جـ٣ صـ٣٩- دت-دط-دار الفكر- بيروت- لبنان.

**وما ذكره الإمامان الرازي والبيضاوي من محاربة عصا موسى للتنين، وولادة الغنم، وكون عصا موسى كانت لآدم عليه السلام، كلها منقولات عن بني إسرائيل، وليس هناك حديث ثابت يدل على شيء منها.**

**والذي يعنينا هنا إثبات أن الله تعالى أيد شعيب عليه السلام بآية كائنة ما كانت هذه الآية.**

**٤-بيان جملة الانحرافات في المجال الاقتصادي من قوم شعيب، والتي تمثلت في التطفيف والاحتكار وتلقي الركبان وقطع الطريق، وبشكل عام بخس الناس أشياءهم، وسوف يأتي بعون الله وتوفيقه الحديث عن كل منها بالتفصيل، وبيان وجهة نظر الإسلام في علاج هذه الانحرافات.**

**قوم سيدنا شعيب عليه السلام:**

**هم أهل "مدين" وتجدر الإشارة إلى أن كلمة "مدين" يمكن أن تطلق على أحد معنيين: إما على قوم سيدنا شعيب عليه السلام أنفسهم، أو على القرية التي سكنوها يقول الحموي ( مَدْين: بفتح أوله وسكون ثانيه ...قال أبو زيد: مَدْيَنُ على بحر القلزم[١] محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل[٢]، وهى أكبر من تبوك، وبها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام لسائمة شعيب[٣].. وهى مدينة قوم شعيب سُمِّيت بِمَدْين بن إبراهيم عليه السلام. قال القاضي أبو عبد**

---

(١) البحر الأحمر.

(٢) المرحلة: ما يقطعه المسافر في نحو يوم بالسير المعتاد على الدابة، وتقدر بـ أربعة وعشرين ميلا، وبناء عليه فهي تقدر عند الحنفية والمالكية بـ٤٤,٥٢٠ كيلو متر تقريبا. وعند الشافعية والحنابلة بـ ٨٩,٠٤ كيلو متر تقريبا. أ.د/ على جمعة محمد-المكاييل والموازين الشرعية صـ٥٦- الطبعة الثانية-١٤٢١هـ=٢٠٠١م- القدس للإعلان والنشر والتسويق-القاهرة-مصر.

(٣) وذلك على مذهب من يرى أن الرجل الصالح هو شعيب عليه السلام، وبه قال أكثر المفسرين. يُنظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٦ صـ٢٢٨- تحقيق سلامة محمد سلامة- ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م- دار طيبة للنشر والتوزيع-السعودية.

**الله القضاعي: مدين وحَيِّزُها من كورة[١] مصر القبلية، وقال الحازمي بين وادي القرى والشام. وقيل: مدين اتجاه تبوك بين المدينة والشام على ست مراحل، وبها استقى موسى عليه السلام لبنات شعيب. وقيل: مدين اسم القبيلة، ولهذا قال الله تعالى ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبَاً﴾[٢].**

**ويقول الإمام ابن كثير (كان أهل مدين قوماً عرباً يسكنون مدينتهم "مدين" التي هي أرض معان من أطراف الشام مما يلي ناحية الحجاز قريباً من بحيرة قوم لوط عليه السلام)[٣].(وكانوا مع كفرهم بالله تعالى وتكذيبهم، أهل بخس ونقص في مكاييلهم وموازينهم فنهاهم شعيب عن ذلك وجادلهم، كما ورد في القرآن الكريم، وشعيب خطيب الأنبياء؛ لحسن محاورته، وتأنى مخاطبته، يقول ابن عباس ﷺ: ما أهلك الله قوماً على معصية حتى كفروا بالله، وعن محمد بن كعب أن قوم شعيب عذبوا في قطع الدراهم والدنانير، وكانت "مدين" متجر الغُرباء ومضرب الأعراب، وكانوا يعطون الناس من أموالهم الزُّيوف، ثم يشرونها بالبخس، قال الله عز وجل ﴿ وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [٤].**

---

(١) كورة: مفرد: كور، الصقع أو الناحية عند أهل الشام، وهى البقعة التى يتشكل فيها قرى ومحال كثيرة يقابلها: مخلاف، جمعه مخالف بلغة أهل اليمن، وطوسج جمع طياسج بلغة أهل العراق وفارس – معجم المصطلحات والألقاب التاريخية – مصطفي عبد الكريم الخطيب صـ٣٧٣ – ط١ – ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان.

(٢) ياقوت الحموي – معجم البلدان جـ٥ صـ٧٨،٧٧ بتصرف – د ت– د ط – دار الفكر – بيروت – لبنان.

(٣) الإمام ابن كثير – البداية والنهاية مجلد ١ جـ١ صـ١٩٠ بتصرف – ط٥ – ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م – دار الحديث – القاهرة – مصر.

(٤) سورة الأعراف الآية: ٨٦.

**قال الضحاك: كانوا يُعَشِّرون أموال الناس... وروينا عن عكرمة أنه قال بعث شعيب عليه السلام إلى مدين مرة، فأخذتهم الصيحة، ومرّة إلى أصحاب الأيكة، ولم يكونوا من قبيلته، فأخذهم عذاب يوم الظلة.**

**وعند أهل الرواية أنهم أهل مدين ألح عليهم الوهج والحمى، فالتجئوا إلى غيضة لهم ثم رفعت لهم سحابة، فظنوا فيها ماء وبردا فتنادوا الظلة، حتى إذا تيامنوا بطحتهم)[1].**

**ويرى الباحث أن هذا رأى مرجوح، والراجح أن شعيباً عليه السلام أرسل إلى أهل مدين، وهى المحلة التي كانوا يسكنون بها، وكانت خطيئتهم عبادة الأيكة، وقد ورد أنها شجرة كانوا يعبدونها من دون الله تعالى، فورد اسمهم نسبة إلى محلتهم، ومرة أخرى نسبة إلى ما كانوا يعبدون، ومن الإشارات اللطيفة في القرآن الكريم، أنهم لما نسبوا إلى الأيكة نفي القرآن عن شعيب عليه السلام الأخوة لهم، على خلاف ما ورد في سورة الشعراء من ذكر الأخوة بين سائر الأنبياء وبين أقوامهم.**

**يقول الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾ [2]. (هؤلاء – يعنى أصحاب الأيكة – هم أهل مدين على الصحيح وكان نبي الله شعيب عليه السلام من أنفسهم، وإنما لم يقل هنا أخوهم شعيب؛ لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة، وهى شجرة، وقيل شجر ملتفة كالغيضة كانوا يعبدونها، فلهذا لما قال: كذب أصحاب الأيكة المرسلين لم يقل: إذ قال لهم أخوهم شعيب، وإنما قال (إذ قال لهم شعيب) فقطع نسب الأخوة بينهم للمعنى الذي نسبوا إليه، وإن كان أخاهم نسباً، ومن الناس من لم يفطن لهذه النكتة؛ فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين؛ فزعم أن شعيباً عليه السلام بُعِثَ**

---

(١) مطهر بن طاهر المقدسي – البدء والتاريخ – جـ٣ صـ٧٧:٧٥ بتصرف – د ط – د ت – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – مصر.

(٢) سورة الشعراء الآية: ١٧٦، ١٧٧.

**إلى أمتين ومنهم من قال ثلاث أمم.. والصحيح أنهم أمة واحدة وُصفوا في كل مقام بشيء، ولهذا وعظ هؤلاء وأمرهم بوفاء المكيال والميزان، كما في قصة مدين سواء بسواء، فدل ذلك على أنهما أمة واحدة)[١].**

**والخلاصة فيما سبق:**

**أولاً: أن كلمة "مدين" يحتمل أن تطلق على القرية التي كانوا يعيشون فيها، أو تطلق على القوم أنفسهم.**

**ثانياً: يطلق على قوم شعيب أهل مدين ويطلق عليهم أصحاب الأيكة، مما دعا بعض العلماء إلى القول بأن شعيباً عليه السلام بعث إلى أمتين، بل من العلماء من قال إنه بعث إلى ثلاث أمم، وأضاف إلى هاتين الاثنتين أهل الرس.**

**ثالثاً: أنهم إلى جانب كفرهم بالله تعالى، جمعوا أرذل المعاصي من أكل أموال الناس بالباطل بطرق شتى، وأساليب اخترعوها من عند أنفسهم.**

**صور الانحراف الاقتصادي عند قوم شعيب عليه السلام:**

**ذكر لنا القرآن الكريم صور الانحراف الاقتصادي التي مارسها قوم سيدنا شعيب عليه السلام فيقول سبحانه ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُم ﴾، ﴿ ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ ﴿ ولا تنقصوا المكيال والميزان ﴾ ﴿ ولا تقعدوا بكل صراط توعدون﴾**

**وفيما يلى أتناول هذه القضايا، والله ولى التوفيق.**

**أولا: الانحراف بالتطفيف:**

**والوقوف على معنى هذه الكلمة لغويا، يفيدنا في استكناه الأبعاد المختلفة لها، والتي تلفت انتباهنا إلى صور جديدة من التطفيف استحدثها الناس في حياتهم، وهى من ضمن الانحرافات التي تصيب المجتمعات بالضعف والوهن.**

---

(١) الإمام ابن كثير – تفسير القرآن العظيم جـ٣ صـ٣٥٧، ٣٥٨ بتصرف – ط٢ – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م – دار المعرفة – بيروت – لبنان.

**من معاني التطفيف: الشيء القليل، نقص المكيال.**

**التطفيف في اللغة:**

**يقال ( طَفَّ الشيء يطِفُّ طفّاً وأطف واستطف: دنا وتهيأ وأمكن) [١]. و(الطفيف القليل... وطَفَفَ به الفرس وثب به) [٢]. (تقول العرب: خذ ما طَفّ لك وأطف واستطف أي ما أشرف لك... وقال الليث: أَطَفَّ فلانٌ لفلان: إذا طبن له وأراد ختله... والتطفيف: البخس في الكيل والوزن ونقص المكيال، وهو ألا تَمْلأه إلى أصباره.. وقيل: التطفيف نقص يخون به صاحبه في كيل أو وزن... والطَّفَفُ: التقتير.. والطَّفِيفُ: الخسيس الدون الحقير)[٣].ولئن كان معنى الكلمة الشيء القليل، إلا أنه فيه إشارة إلى أن ما يأخذه المطفف من الناس من شيء قليل يجتمع به عنده شيء عظيم جداً بغير وجه حق.**

---

(١) العلامة جمال الدين ابن منظور – لسان العرب جـ٩ صـ٢٢١: ٢٢٣ بتصرف.

(٢) الإمام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازي – مختار الصحاح صـ٣٩٤ – ط١٠ – ١٣٣٥هـ – ١٩١٦م – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – مصر.

(٣) لسان العرب جـ٩ صـ٢٢١: ٢٢٣ بتصرف.

**مفهوم التطفيف:**

**إن الله الحكيم، لا يرسل رسولاً برسالة إلى قوم من الأقوام من أجل مكيل أو موزون فقط، إلا أن يتعدى مفهومها إلى كل بخس ونقص لأشياء الناس من ماديات ومعنويات، ومن ثم فإن الأقرب إلى مقتضى الحكمة الإلهية أنها كلمة عامة يندرج تحتها أنواع شتى من النقص والبخس لحقوق الناس مادية ومعنوية، وفيما يلي أتناول الصور التي يمكن أن تندرج تحت هذا المعنى.**

**تطفيف الكيل والميزان:**

**خاطب شعيب عليه السلام قومه قائلاً (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ) [١]. ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ [٢]. فيأمرهم عليه السلام (بإيفاء الكيل والميزان وينهاهم عن التطفيف فيهما... أي إذا دفعتم للناس، فكملوا الكيل لهم، ولا تبخسوا الكيل فتعطوه ناقصاً وتأخذوه إذا كان لكم تاماً وافياً، ولكن خذوا كما تعطون، وأعطوا كما تأخذون، والقسطاس هو الميزان.. قال مجاهد: القسطاس المستقيم هو العدل بالرومية، وقال قتادة: القسطاس: العدل)[٣].**

**فكأنه عليه السلام يقول لهم (لا تركبوا ما أنتم عليه وتستمروا فيه فيمحق الله بركة ما في أيديكم ويفقركم، ويذهب ما به يغنيكم، وهذا مضاف إلى عذاب الآخرة، ومن جمع له هذا وهذا فقد باء بالصفقة الخاسرة)[٤].**

---

(١) سورة هود الآية: ٨٤.

(٢) سورة الشعراء الآية: ١٨١، ١٨٢.

(٣) الإمام ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – جـ٣ صـ٣٥٨ بتصرف.

(٤) الإمام ابن كثير – البداية والنهاية مجلد ١ جـ١ صـ١٩١ بتصرف.

**ويحتج عليهم شعيب عليه السلام بقوله ﴿إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ﴾ أي فلستم في حاجة إلى هذه الممارسات الخاطئة في مجال المعاملات، فأنتم في كفاية من العيش، وهى دلالة على الجشع والطمع الذي ملأ قلوب هؤلاء القوم، وهو أمر طبيعي لمن أسرف على نفسه، ولم يفطمها من أهوائها، ولم يتق الله تعالى فيها.**

**موقف قوم شعيب منه عليه السلام:**

**(قال ابن عباس والحسن البصري ﴿ بَقِيّتُ الله خير لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ أي رزق الله خير لكم من أخذ أموال الناس بالتطفيف... يعنى: أن القليل من الحلال خير لكم من الكثير من الحرام، فإن الحلال مبارك**

**وإن قل، والحرام ممحوق وإن كثر)[١].**

**لقد استمرأ هؤلاء القوم هذه الرذيلة، حتى أصبحت عندهم حقاً مكتسباً، يستحق الناعي عليهم فيه الاستهزاء والسخرية، وقد كان منهم ذلك حينما ردوا على رسول الله قائلين ﴿ قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد ﴾[٢].**

**إن ارتكاب المعاصي دركات بعضها أسفل من بعض، وقد يفعل الإنسان المعصية ويستخفي بها، ويذكر فعله لها، وهذه دركة في المعصية، وأدنى منها أن يجاهر العبد بالمعصية، وأدنى منهما أن يبرر معصيته متمسكاً بها ساخراً ممن ينهاه عنها.**

**وقد وصل قوم شعيب عليه السلام إلى هذا الدرك الأسفل في ممارستهم لأكل أموال الناس بالباطل.**

**أسباب تطفيف الكيل والميزان عند قوم شعيب عليه السلام:**

---

(١) المرجع السابق – صـ١٩٢.

(٢) سورة هود الآية: ٨٧.

**وأعنى بهذه المسألة مفردات هذه العقلية التي وصلت إلى هذا الحد في استحلال أقوات الناس والسطو على حقوقهم، ويمكن توصيفها فيما يلي:-**

**أ- الكفر بالله تعالى سبب الاستطالة على الخلق:**

**كان أساس الانحراف الاقتصادي لدى قوم شعيب عليه السلام فقدان الإيمان بالله تعالى، فقد كان كفرهم بالله، وإشراكهم به سبحانه وتعالى، سبباً في تفشي الأمراض الخلقية لديهم، وظهور الانحرافات الاقتصادية.**

**إن الله تعالى هو الخالق الرازق، وهو الذي سخر ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه، فالمال مال الله، والبشر مستخلفون عليه، لعمارة الأرض، وإقامة الحياة فيها على منهاج الله تعالى، يقول تعالى ﴿آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ﴾[١].**

**إن (الملك لله سبحانه، وليس للعبد فيه إلا التصرف الذي يرضى الله فيثيبه على ذلك بالجنة... وهذا يدل على أنها ليست بأموالكم في الحقيقة، وما أنتم فيها إلا بمنزلة النواب والوكلاء، فاغتنموا الفرصة فيها بإقامة الحق قبل أن تُزال عنكم إلى من بعدكم)[٢].**

**إن إيمان الإنسان بأن المال مال الله، وأنه وكيل الله في هذا المال تحصيلاً وإنفاقاً يكبح جماح النفس الإنسانية، ويكفكف من غلواء الطمع وحب التملك.**

**ونظرة الإسلام للمال نظرة وسطية واقعية، فهو:**

**أولاً: اعترف بتلك النزعة الفطرية عند بنى آدم جميعاً في حب المال ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ**

---

(١) سورة الحديد الآية: ٧.

(٢) الإمام القرطبي – الجامع لأحكام القرآن جـ٩ صـ٦٤٠٨ بتصرف – د ط – د ت – دار الريان للتراث – القاهرة – مصر.

**وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾** (١).

**ثانيا: بيان أن الأصل في المال أن يُستعان به على إقامة المعايش وطاعة الباري جل وعلا، ففي الحديث عن أبي واقد الليثي ، قال : كنا نأتي النبي صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه، فيحدثنا فقال لنا ذات يوم: "إن الله قال : إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، ولو كان لابن آدم واد، لأحب أن يكون إليه ثان، ولو كان له واديان، لأحب أن يكون إليهما ثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ثم يتوب الله على من تاب"**(٢).

**وثالثا: يقف الإسلام وسطاً بين المذاهب الأرضية، التي يرى بعضها المال حقارة وقذارة يجب أن يترفع عنها الإنسان، وبعضها الآخر يترك للإنسان العنان في أن يفعل ما يشاء ليحصله، فالغاية تبرر الوسيلة، ولكن الإسلام اعترف أولاً بالدافعية الفطرية لدى بنى آدم في حب التملك، ثم طلب منهم بعد ذلك الرشد في التعامل مع هذا المال تحصيلاً وإنفاقاً.**

**وفي سبيله لتحقيق هذه الوسطية وتحقيق التوازن في الأرض حرم الإسلام كل الصور التي يؤكل فيها المال بالباطل، ويضيع فيها حقوق العباد.**

**ولقد صور القرآن الكريم حال المطففين، وبين أن من أسباب ردع هؤلاء المطففين عن أفعالهم القبيحة تذكر يوم العرض على الخالق سبحانه وتعالى، قال سبحانه (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾**(٣). **فكأن ممارسة**

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٤.

(٢) مسند أحمد بن حنبل – مسند الأنصار – حديث أبي واقد الليثي – حديث:٢١٣٦٢. وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الجامع حديث رقم ١٧٨١.

(٣) سورة المطففين الآية: ١، ٥.

**الإنسان لهذا النوع البشع من استغلال الناس دليل على فقدانه لأهم خصائص الإنسانية، خاصية الإيمان بالله تعالى، والإيمان بالبعث والمداينة بعد الموت.**

**لقد أدى فقدان قوم شعيب عليه السلام للعقيدة السليمة في الخالق سبحانه إلى إطلاق أيديهم في أموال الناس بكل الحيل الشريرة لأكلها بالباطل، ففقدوا مراقبة الله الذي يداين الناس، وهو رب المال، ولسوف يأتي اليوم الذي يحاسبهم فيها على أموالهم، من أين جمعوها، وفيما أنفقوها.**

**ومن ثم كانت أول بنود دعوة شعيب عليه السلام ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [١]، فالإيمان بهيمنة الخالق وقيوميته على عباده، والإيمان بكونه صاحب الملك والملكوت، وكل من على الأرض ضيوف عليه سبحانه في أرضه، استعمرهم فيها، وطلب منهم الإصلاح وعدم الفساد إن الإيمان بهذه الحقائق سيحكمهم بضوابط الإسلام في تحصيل المال وإنفاقه.**

**ولعمري إنها للقيمة المركزية[٢] التي هي من أهم ضوابط الاقتصاد الإسلامي، أعنى الإيمان بالله تعالى الخالق الرازق، رب الجميع، فليس هو إلهاً لقوم دون قوم، وإنما هو رب الجميع والخالق للجميع والرازق للجميع، والكل أمامه سواء، ولا فرق بين عبد وعبد إلا بمقتضيات التشريف الإلهي التي أرسل بها رسله وسطر بها كتبه سبحانه وتعالى، ولأن الخالق سبحانه فضل بعض الناس على بعض في الأرزاق، فهذا لحكمة يريدها جل وعلا، ثم إنه سبحانه فرض في أموال**

---

(١) سورة الأعراف الآية: ٨٥

(٢) ينظر د/ نعمت عبد اللطيف مشهور – أساسيات الاقتصاد الإسلامي صـ٥٦ وما بعدها – ط٣ – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م – عالم الغد – القاهرة – مصر.

**الأغنياء بالقدر الذي يكفي الفقراء، وإذا أصاب الناس جوع أو عرى، فإنما يكون لخلل في توزيع الثروات، ولانفراد نفر من خلق الله بنعمة الله دون الآخرين[١].**

**ب- ازدراء الناس والاستخفاف بعقولهم:**

**إن البائع الذي يسرق المشترى، فوق أنه لص ينتزع حقوق الناس خلسة، فهو يستخف بعقولهم، لأنه يرى أنه قادر على مخاتلتهم وخداعهم، وهو يزدرى هؤلاء الناس كذلك، فلو كان لديه احترام للآدمية لما تعدى على حقوق البشر أيما كانوا، ولو كانوا على غير دينه، والإسلام جاء بهذه المعاني واضحة، جلية، فلا يحق لمسلم أن يخدع غير المسلم لأنه يخالفه في العقيدة، أو ينتقص من حقه، أو يأكل ماله بالباطل، بل يتعامل معه بروح الإسلام الذي وسع الناس جميعاً بعدله ورحمته، ولعمري هذا من أهم خصائص الإسلام، عالمية الرحمة وعالمية البر والقسط، فهو بحق الدين الأمين على هذه الإنسانية، ولا يخفي علينا ما في عقائد الآخرين من طبقية، حيث يتعاملون مع أفراد طبقتهم بوجه ومع غيرهم بوجوه أخرى.**

**ج-ظهور الطبقية البغيضة:**

**الطبقية التي ترفع بعض الناس فوق بعض، وتجعل لبعض الناس حقاً دون الآخرين، على غير أساس من الصلاح والتقوى، أو الكفاءة العلمية أو خدمة الآدمية.**

---

(١) في حديث أخرجه الإمام الطبراني في الأوسط باب الدال من اسمه دُلَيْل حديث رقم ٣٦٦٣ وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب حديث رقم ٤٦٢، ولكنه وقفه على علي ﷺ وقال: وهو أشبه، وفيه :"إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم قدر الذي يسع فقراءهم، ولن يُجْهَد الفقراء إلا إذا جاعُوا وعُرُّوا مما يصنع أغنياؤهم، ألا وإن الله محاسبهم يوم القيامة حسابا شديدا، ومعذبهم عذابا نُكرا".

**إنها نظرة اليهود اليوم وقديماً للأمم الأخرى، فيستحلون من أموالهم وأعراضهم بحيث لا يصلون من هذا إلى حد الاكتفاء، وهى نظرة الأمريكان اليوم في استحلالهم لأموال الدول العربية فيسلطون عليها بكل سبيل، وتحت أي راية.**

**وهذه الخلفية هي ذات السبب وراء ظهور التطفيف في كل زمان ومكان، فمتى فقد الإنسان إيمانه بالله تعالى، فقد أهم خصائصه الإنسانية، فرأى كل من حوله نهيبة، يجوز له أن يأخذ بنصيبه منها كيف يشاء.**

**ما أحوج الإنسانية إلى مبادئ الإسلام السامية التي تجعل الناس سواسية أمام الله تعالى، وإنما يتفاضلون بالتقوى والعمل الصالح، وبقدر ما يحققون مراد الله من خلقهم في تعبيد الأرض لله وإعمارها والوصول إلى أسرارها وقوانين الخالق التي أودعها فيها، أما التفاضل بالجنس أو اللون، أو على أساس الوجاهة الدنيوية، أو الجِدَة المادية، فإنما هي موازين البشرية الظالمة التي ترفض موازين الله تعالى وتحادُّ دينه.**

**ثانياً: الانحرف بممارسة الاحتكار:**

**يقول الله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام ﴿ وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾، (اختلف العلماء في معنى قعودهم على الطرق على ثلاثة معان: فقال ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي:**

***كانوا يقعدون على الطرقات المفضية إلى شعيب فيتوعدون من أراد المجيء إليه ويصدونه ويقولون إنه كذَّاب فلا تذهب إليه، كما كانت قريش تفعله مع النبي ﷺ وهذا ظاهر الآية.**

***وقال أبو هريرة: هذا نهى عن قطع الطريق، وأخذ السلب، وكان ذلك من فعلهم...**

***وقال السدي: كانوا عشارين متقلبين، ومثلهم اليوم هؤلاء المَكّاسُون الذين يأخذون من الناس مالا يلزمهم شرعاً من الوظائف المالية بالقهر والجبر... وهو**

**من أعظم الذنوب وأكبرها وأفحشها، فإنه غصب وظلم وعسف على الناس، وإذاعة للمنكر وعمل به ودوام له وإقرار له)[١].**

**ويرى الباحث أن كل هذه المعاني كانت موجودة عند هؤلاء القوم، فمن الطبيعي جداً أن يقاوموا هذه الدعوة الجديدة التى تتحداهم في مصدر تفوقهم وطبقيتهم، والقرآن الكريم يحكى لنا طريقتهم الفجة في خطاب نبيهم عليه السلام واستخفافهم به صلى الله عليه وسلم حينما قالوا ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾[٢].**

**وهو يؤكد ما ذهبنا إليه من فُشُوّ الطبقية بين طائفة المستغلّين المنتفعين بالتطفيف والبخس، وصور أكل أموال الناس بالباطل المتعددة وبين المستضعفين من قوم شعيب عليه السلام، فالطبقية التي يمارسونها على المستضعفين، هي الطبقية التي يرون أنها تحمى شعيباً عليه السلام من تعديهم عليه.**

**وهؤلاء القوم المنحرفون الذين لا يتورعون عن الكسب من أي وجه طبيعي أن يمارسوا كل صور الاستغلال من التطفيف في الكيل والوزن، والاحتكار وتلقى الركبان والبخس وغيرها من صور الانحراف الاقتصادي.**

**الاحتكار في اللغة:**

**يقال: ( حَكَرَ: الحَكْرُ: ادِّخار الطعام للتربص، وصاحبه محتكر، قال ابن سيده: الاحتكار جمع الطعام ونحوه مما يؤكل واحتباسه انتظار وقت الغلاء به. والحَكَرُ والحُكَرُ جميعاً: ما احْتُكِرَ) [٣].**

**وهو من الممارسات التي كان يقوم بها قوم شعيب عليه السلام والتي استحقوا بها غضب الله تعالى وأليم عذابه في الدنيا قبل عذاب الآخرة.**

**محاربة الإسلام لظاهرة الاحتكار:**

---

(١) الإمام القرطبى – الجامع لأحكام القرآن الكريم جـ٤ صـ٢٦٨٤، ٢٦٨٥ بتصرف

(٢) سورة هود الآية: ٩١.

(٣) لسان العرب – جـ٤ – صـ٢٠٨ بتصرف.

**وردت أحاديثُ شتى عن المعصوم صلى الله عليه وسلم تحارب هذه الظاهرة، باعتبارها أحد الأدواء الاقتصادية التى تفتك بالمجتمعات، وتحدث فجوة بين طبقات المجتمع، بين واجدين كل الجِدَة لا يدرون أين ينفقون ما يملكون، وبين محرومين لا يجدون الضرورات فضلاً عن الكماليات، عن يحيى بن سعيد قال كان سعيد بن المسيب يحدث أن معمراً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من احتكر فهو خاطئ"، وعن سعيد بن المسيب ﷺ عن معمر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يحتكر إلا خاطئ)[١].**

**يقول الإمام النووى: ( قال أهل اللغة: الخاطئ بالهمز هو العاصي الآثم، وهذا الحديث صريح في تحريم الاحتكار، قال أصحابنا: الاحتكار المحرم هو الاحتكار في الأقوات خاصة، وهو أن يشترى الطعام في وقت الغلاء للتجارة ولا يبيعه في الحال بل يدخره ليغلو ثمنه، فأما إذا جاء من قريته أو اشتراه في وقت الرخص وادخره أو ابتاعه في وقت الغلاء لحاجته إلى أكله أو ابتاعه ليبيعه في وقت فليس باحتكار ولا تحريم فيه، وأما غير الأقوات فلا يحرم الاحتكار فيه بكل حال، هذا تفصيل مذهبنا.**

**قال العلماء، والحكمة في تحريم الاحتكار دفع الضرر عن عامة الناس كما أجمع العلماء على أنه لو كان عند إنسان طعام، واضطر الناس إليه، ولم يجدوا غيره أجبر على بيعه دفعاً للضرر عن الناس)[٢].**

**والذي ذكره الإمام النووى من أن حكمة تحريم الاحتكار هي دفعُ الضرر عن عامة الناس نحتجُّ به عليه رحمه الله تعالى؛ إذ استجد في حياة الناس من غير**

---

(١) صحيح الإمام مسلم كتاب المساقاة باب تحريم الاحتكار في الأقوات حديث رقم ١٦٠٥ جـ٣ صـ١٢٢٧، ١٢٢٨ – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى – دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان.

(٢) صحيح الإمام مسلم بشرح النووى – مجلد ٤ جـ١٠ صـ٤٣ – طبعة مؤسسة مناهل العرفان بيروت – لبنان – مكتبة الغزالى دمشق سوريا.

**الأقوات ما لو تم الاحتكار فيه لفسدت حياة الناس، وعليه فإن أى نوع من الاحتكار يُضارُّ الناس به فهو حرام شرعاً بنص حديث النبى ﷺ.**

**فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا ضرر ولا ضرار، من ضار ضاره الله، ومن شاق شاق الله عليه"(١).**

**وفي الحديث الشريف عن فروخ مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من احتكر على المسلمين طعاماً ضربه الله بالجذام والإفلاس)(٢).**

**وهذا الحديث قد يحتمل دعاء النبى صلى الله عليه وسلم على المحتكر بأن تصيبه هذه الأوبئة جزاء وفاقاً لإفساده في الأرض، ويحتمل أن من يصنع هذا فلينتظر عقوبة الله له بالجذام والإفلاس.**

**رأى الإمام ابن خلدون في الاحتكار:**

**ورائد علم الاجتماع في الدنيا الإمام ابن خلدون يعطينا من صور الحياة الواقعية، ومرائيه في دنيا الناس ما يدل على شؤم هذا التصرف اللآدمي، والذي يحول بين الناس وبين نعم الله تعالى، فيقول: (ومما اشتهر عند ذوي البصر والتجربة في الأمصار أن احتكار الزرع لِتَحيّن أوقات الغلاء مشئوم، وأنه يعود على فائدته بالتلف والخسران، وسببه والله أعلم أن الناس لحاجتهم إلى الأقوات مضطرون**

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم – كتاب البيوع وأما حديث معمر بن راشد – حديث:٢٢٨٦. وحسنه الشيخ الألباني في أحكام الجنائز حديث رقم ٦.

(٢) سنن الإمام ابن ماجه – كتاب التجارات باب الحكرة والجلب – حديث رقم ٢١٥٥ – جـ٢ صـ٧٢٨، ٧٢٩ ن طبعة دار إحياء الكتب العربى – مصر – تحقيق العلامة محمد فؤاد عبد الباقى، وقد علق عليه قائلاً: في الزوائد: إسناده صحيح، ورجاله موثقون ن أبو يحيى المكى والهيثم بن معين قد ذكرهما ابن حبان في الثقات، والهيثم بن رافع وثقه ابن معين وأبو داود، وأبو بكر الحنفي واسمه عبد الكبير بن عبد المجيد احتج به الشيخان، وشيخ ابن ماجه يحيى بن حكيم وثقة أبو داود والنسائى وغيرهما.

**إلى ما يبذلون فيها من المال اضطرارا، فتبقى النفوس متعلقة به، وفي تعلق النفوس بمالها سرٌ كبير في وباله على من يأخذه مجانا، ولعله الذي اعتبره الشارع في أخذ أموال الناس بالباطل، وهذا وإن لم يكن مجانا فالنفوس متعلقة به لإعطائه ضرورة من غير سعة في العذر، فهو كالمكره، وما عدا الأقوات والمأكولات من المبيعات لا اضطرار للناس إليها، وإنما يبعثهم عليها التفنن في الشهوات، فلا يبذلون أموالهم فيها إلا باختيار وحرص، ولا يبقى لهم تعلق بما أعطوه، وسمعت فيما يناسب هذا حكاية ظريفة عن بعض مشيخة المغرب أخبرني شيخنا أبو عبد الله الأبلي قال: حضرت عند القاضي بفاس لعهد السلطان أبي سعيد وهو الفقيه أبو الحسن المليلي – وقد عرض عليه أن يختار بعض الألقاب المخزنية لجرايته – قال فأطرق مليا ثم قال: من مَكْس الخمر، فاستضحك الحاضرون من أصحابه وعجبوا وسألوه عن حكمة ذلك: فقال إذا كانت الجبايات كلها حراما فأختار منها ما لا تتابعه نفس معطية، والخمر قل أن يبذل فيها أحد ماله إلا وهو طرب مسرور غير آسف عليه ولا متعلقة به نفسه، وهذه ملاحظة غريبة والله سبحانه وتعالى يعلم ما تكن الصدور)**[1].

**وهذا يُعدّ في غاية الأهمية، يتغافل عنه المعالجون لصور الانحراف الاقتصادى، فإن القوى النفسانية متمثلة في الحسد وامتداد الأعين لما في أيدى الآخرين، هذه القوى تغتصب السعادة وتثير الكآبة والقلق وتمنع الطمأنينة والأمن.**

---

([1]) الإمام ابن خلدون – المقدمة – صـ٣٩٧ – طـ٥ – ١٩٨٤م – دار القلم – بيروت – لبنان.

**ثالثاً: الانحراف بممارسة المكس:**

**وهو أحد أنواع الانحراف التى كان قوم شعيب عليه السلام يمارسونها في زمانهم، واستحقوا بها غضب الله تعالى.**

**والمَكْس ( الجباية، مَكَسَهُ يَمْكِسُهُ مَكْساً ومَكَسْتُه أمكِسُهُ مكساً والمَكْسُ: دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق في الجاهلية، والماكس: العشار. ويقال للعشار: صاحب مَكْس، والمَكْس: ما يأخذه العشار)[١].**

**( وأصل المَكْس النقصان: يقال مَكَسَنِى حقى وبخسنى، ومنه أخذ المِكَاس في البيع، وهو أن يستوضعه المشترى شيئاً من الثمن. قال الأخفش: العرب تقول في الرجلين بينهما نزاع وتجاذب بينهما عِكَاس ومِكَاس) [٢].**

**كما أن الحرص على الكسب الحرام المادى من التطفيف أو الاحتكار أو غيره من صور الكسب الحرام يمحق البركة، ويُحِلُّ الشؤم ونكد الحياة، ولبئس من اشترى الدنيا ببيع نفسه، وفقدان ذاته.**

**محاربة الإسلام للمَكْس:**

**في حديث رجم الغامدية ( أُمر بها فحُفِرَ لها إلى صدرها، وأمُر الناس فرجموها فأقبل خالد بن الوليد رضى الله عنه بحجر فرمى رأسها فنضح الدم على وجه خالد فسبها، فسمع نبى الله صلى الله عليه وسلم سبه إياها، فقال مهلا يا خالد، فو الذي نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مَكْس لغُفِر له، ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت)[٣]، فالمَكسُ أعظم إثما وأشنع من الزنا.**

---

(١) لسان العرب جـ٦ صـ٢٢٠.

(٢) الغريب للخطابى – صـ٢١٩.

(٣) صحيح الإمام مسلم جـ٣ – صـ١٣٢٣– كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنا حديث رقم ١٦٩٥.

**ولصوص الأسواق الذين يفرضون إتاوات على الناس بغير وجه حق، مما يسمى بـ "الفِرْدَة" أو "أرضية" ويتزايد فيه الجشعون، حتى يحولوا الأسواق إلى ساحة لصوصية، ويسطون على الناس في أموالهم، فيجمعون عليهم من الخسار والكآبة والهم ما يفسد على الناس معايشهم، وهل أوجع من أن يضيق على الإنسان في لقمة عيشه إذا باع أو اشترى؟**

**المكس من علامات انهيار الأمم:**

**ذكر الإمام ابن خلدون في مقدمته أن من أسباب انحطاط الأمم وانهيار الدول فرض المكوس وزيادتها فيقول (وربما يزيد ذلك في أواخر الدولة زيادة بالغة فتكسد الأسواق لفساد الآمال؟**

**ويؤذن ذلك باختلال العمران ويعود على الدولة ولا يزال ذلك يتزايد إلى أن تضمحل، وقد كان وقع منه بأمصار المشرق في أخريات الدولة العباسية والعبيدية كثير، وفرضت المغارم حتى على الحاج في الموسم، وأسقط صلاح الدين أيوب تلك الرسوم جملة.. وكذلك وقع بالأندلس لعهد الطوائف حتى محى رسْمَه يوسف بن تاشفين أمير المرابطين)[1].**

**وهذا ملمح هام ينبغى ان يتفطن له العقلاء، فإن من أسباب انهيار الأمم وفساد العمران التطفيف والاحتكار والمَكْس التى تقوض أساس الحياة، وتحول البلاد إلى طائفتين لا ثالث لهما، طائفة المستغِلّين، وطائفة المستغَلّين، فالأولى تمتص دماء الثانية وتثرى بلا عمل، والأخرى تخوض في ظلام الفقر والحاجة.**

**رابعاً: الانحراف بالجَلَبُ وتلقى الركبان:**

---

([1]) مقدمة ابن خلدون صـ٢٨٠، ٢٨١ بتصرف.

**وهو أيضاً من صور الانحراف الاقتصادى التى مارسها قوم سيدنا شعيب عليه السلام، وهو**

**يُفهم من قوله تعالى ﴿ ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ﴾ فالوقوف للناس على الطرق، وقد كانت حاضرة تجارية، يحتمل معانى عدة، يحتمل صدَّهُم عن دين الله وهو وارد، ويحتمل أخذ بضائع الناس بالبخس قبل دخولها الأسواق ومعرفة الأسعار، ويحتمل كذلك فرض إتاوات وضرائب على أصحاب البضائع القادمين إلى بلادهم، وكل هذه الممارسات الخاطئة كان قوم شعيب عليه السلام يمارسونها في أسواقهم ومع القادمين عليهم.**

**محاربة الإسلام للجلب وتلقى الركبان:**

**حارب الإسلام هذه الصورة من صور الغش والخداع، وتضييع حقوق الناس، واستغلال جهلهم بأحوال الأسواق وما يجرى فيها، ومن ثَمَّ فقد شرع الإسلام الخيار لصاحب البضاعة في أن يعود في بيعه إذا وجد غبناً من المشترى بعد نزول السوق ومعرفة سعر بضاعته.**

**( عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن تُتَلَقَّى السلع حتى تبلغ الأسواق" وهذا لفظ بن نمير وقال الآخران: "إن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن التلقى".**

**وعنه صلى الله عليه وسلم "أنه نهى عن تلقى البيوع"، وعن أبى هريرة قال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتلقى الجلب"، وعنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تلقوا**

**الجلب، فمن تلقاه فاشترى منه فإذا أتى سيده السوق فهو بالخيار)**[1].

---

([1]) صحيح مسلم جـ٣ صـ١١٥٧ – الأحاديث رقم ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩ – دط – دت – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى – دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان.

**وذلك (لأن صاحبه عاصٍ آثم إذا كان به عالماً، وهو خداع في البيع، والخداع لا يجوز، وقد جزم الإمام البخارى رضى الله عنه برد البيع بناء على أن النهى يقتضى الفساد... وقيل يصح البيع ويثبت الخيار... وأما كون صاحبه عاصياً آثماً والاستدلال عليه بكونه خداعاً فصحيح.. وعند الحنفية يُكْره التلقى في حالتين: أن يضر بأهل البلد، وأن يلتبس السعر على الواردين... وهل يثبت له مطلقاً أو بشرط أن يقع له في البيع غَبْنٌ وجهان: أصحهما الأول، وبه قال الحنابلة وظاهره أيضاً أن النهى لأجل منفعة البائع وإزالة الضرر عنه وصيانته ممن يَخْدَعُهُ)**[١].

**(قال العلماء وسبب التحريم إزالة الضرر عن الجالب وصيانته ممن يخدعه، قال الإمام أبو عبد الله المازرى: فإن قيل: المنع من بيع الحاضر للبادى سببه الرفق بأهل البلد، واحتمل فيه غَبْن البادى، وإذا باع بنفسه انتفع جميع أهل السوق واشتروا رخيصاً فانتفع به جميع سكان البلد، نظر الشرع لأهل البلد على البادى، ولما كان في التلقى إنما ينتفع المتلقى خاصة وهو واحد في قبالة واحد لم يكن في إباحة التلقى مصلحة، لا سيما إذا انضاف إلى ذلك علة ثانية وهى لحوق الضرر بأهل السوق في انفراد المتلقى عنهم بالرخص وقطع المواد عنهم وهم أكثر من المتلقى فنظر الشرع لهم عليه، فلا تناقض بين المسألتين بل هما متفقتان في الحكمة والمصلحة والله اعلم)**[٢].

**وهذا التشريع من صور العالمية والواقعية لديننا الحنيف، فهو يحرم كل صور الخداع التى ينصبها المحتالون على خلق الله ليأكلوا أموالهم وحقوقهم بغير حق.**

**ولا تبخسوا الناس أشياءهم:**

---

(١) الإمام ابن حجر – فتح البارى بشرح صحيح البخارى – جـ٤ صـ٢٧٤ بتصرف – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى – محب الدين الخطيب – ١٣٧٩هـ – دار المعرفة – بيروت – لبنان.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى – جـ١٠ صـ١٦٣.

**قد كان من الممكن أن يكون التعبير الإلهى "ولا تبخسوا الناس أموالهم" حتى تكون أقرب إلى معنى الكيل والوزن، أو بصفة عامة أقرب إلى التعاملات المادية، ولكن التعبير الإلهى بكلمة "أشياءهم"، فيه دلالة أوسع وأعم، يجب أن يتفطن إليها الألبَّاء، لا سيما أولو الأمر في بلاد المسلمين، إن معنى البخس والتطفيف لا تقف عند حد مخادعة إنسان في حبوب أو فاكهة أو غير ذلك من مأكول الناس ومشروبهم، بل إن المعنى أعم وأشمل، فإن من أنواع البخس التى تمارسها المجتمعات المنحرفة، بَخْس الناس كفاءاتهم ومواهبهم التى حباهم الله تعالى بها، فلا يوضع الإنسان في موضعه الذي تؤهله له مواهبه وإمكاناته، بل يوضع كل إنسان حسب ما تؤديه إليه إمكاناته المادية، ومعارفه، وقربه من ذى سلطان أو ذى مال، يرفعه فوق أصحاب الحقوق.**

**إن من المهازل التى نراها في دنيا الناس، أن يرفع أقوام لغير ما سبب إلا الواسطة والمحسوبية، ويوضع أقوام آخرون في الدرك الأسفل من الحياة، لأنهم لا يملكون الجِدَة التى توصلهم إلى ما تؤهلهم إليه إمكاناتهم وقدراتهم.**

**ووالله الذي لا إله إلا هو إن هذه الممارسات الباطلة الخارجة عن قانون الله في الأرض وسنته في بنى آدم من أقوى أسباب انهيار الأمم والشعوب.**

**إن من علامات الساعة أن يوسد الأمر إلى غير أهله فـ"عن أبى هريرة قال: بينما النبى صلى الله عليه وسلم في مجلس يُحَدّث القوم جاءه أعرابى فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه قال: أين السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يا رسول الله، قال: فإذا ضيعت الأمانة فانتظر**

**الساعة، قال: كيف إضاعتها؟ قال إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)[١].**

**نعم إذا وسد الأمر إلى غير أهل فانتظر الساعة، لأنه مؤذن بتخلف سنة الله في الكون، وهى أن البقاء للأصلح، والله تعالى يعطى السلطة الزمنية في الأرض للأقدر على الإصلاح مهما كان دينه، والتاريخ خير شاهد على هذا المعنى[٢].**

**فإذا تضافر الخلق على محادّة الله تعالى في سنته، وإذا آثر الناس قوانينهم ومحسوبيتهم على أمر الله، فإن هذا خلل في كون الله مؤذن بانتهاء أجل الله المسمى لهذه الحياة.**

**في الحديث الشريف (عن عروة عن عائشة أن قريشاً أهَمَّهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت، فقالوا: مَن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حِبُّ رسول الله، فكلمه أسامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فاختطب فقال: يا أيها الناس، إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيمُ الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها. قال محمد بن رمح: سمعت الليث بن سعد يقول: قد أعاذها الله عز وجل أن تسرق، وكل مسلم ينبغى له أن يقول هذا)[٣].**

---

(١) صحيح الإمام البخارى كتاب العلم باب من سئل علما وهو مشتغل في حديثه – جـ١ صـ٣٣ حديث رقم ٥٩ – ط٣ – ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م – تحقيق مصطفي ديب البغا – دار ابن كثير اليمامة – بيروت – لبنان.

(٢) ينظر رسالة العلامة أبو الحسن الندوى عن الصلاح والفساد والتى ألقاها في الهند عام ١٩٤٨م.

(٣) الشيخ / محمد ناصر الدين الألبانى – صحيح سنن ابن ماجه جـ٢ صـ٧٩ – حديث رقم ٢٠٦٤ – ط٢ – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م – مكتب التربية العربى لدول الخليج – الرياض – السعودية.

**إن النبى صلى الله عليه وسلم يربى أصاحبه، ويربى المسلمين من بعدهم بهذا الموقف، فلا محسوبية في دين الله، ولا شفاعة في حدود الله، ولا أحد يستحق أن نعادى الله تعالى لنواليه.**

**ويقول سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾[1].**

**وهى ملحوظة جديرة بالنظر والاعتبار، فإنه ما من أمة تَضِيعُ فيها الكفاءات ويكون التقدم والعلو فيها لأصحاب الواسطة والمحسوبية إلا كان هذا أول مسمار في نعشها.**

**وما من ثورة في دنيا الناس إلا كانت لاستئثار طائفة من الناس بكل شيء، في مقابل العدم والحرمان الذي تعيشه – دائماً – الأغلبية الساحقة من البلاد، والثورة الفرنسية، وهى تسمى أحياناً ثورة الجياع، والثورة المصرية وغيرها من أنواع الثورات خير شاهد على هذا المعنى.**

**الأبعاد النفسية للانحراف الاقتصادى:**

**إن تسلط طائفة من الناس على أقوات الناس، يشترون كيف يشاؤون، ويبيعون كيف يشاؤون، ويقيدون ما شاء الله أن يطلقه من حرية الناس في البيع والشراء والأخذ والعطاء إذا تحقق العدل وانتفي الاستغلال والظلم، أقول إن حدوث هذا ليسبب من العقد النفسية والضغوط العصبية في المجتمعات ما له أوخم الأثر على مقدرات الأمم والشعوب.**

**هل يمكن أن تتحقق الثقة بين المُطَفِّفِ ومن يشترى منه، هل يمكن أن أشعر بالأمان تجاه الإنسان الذي أشْتَرى منه طعاماً وقوتاً ضرورياً وأنا أعلم أنه بشكل من الأشكال ينتقصنى حقى ويسلبنى ما هو لى؟ إن هؤلاء المطففين في كل**

---

([1]) سورة النساء الآية: ١٣٥.

**زمان ومكان يخترعون من الوسائل والحيل ما يسطون به على أشياء الناس، ولهم في كل هيئة رجالهم الذين يحمونهم إذا وجد في الناس أحرار يأبون الظلم ويأنفون الاستغلال، ماذا يمكن أن يحدثه إحساس الإنسان العادى بأن يقع فريسة في شبكة المستغلين الذين يمثلون شِلّة من المرتزقة آكلى أموال الناس بالباطل والمتسترين عليهم ممن يفترض أنهم رعاةُ حكمِ الله بين الناس؟؟**

**إن الإحباط وفقدان الثقة في المجتمع، ومن ثم العدائية تجاه هذا المجتمع وأفراده، أبعاد نفسية تصيب أفراد المجتمع بسبب هذه الآفة، ومن جهة أخرى، الذلُّ والاستخذاء والانطواء والتقوقع بالفكر والسلوك من الأبعاد النفسية التى تصيب بعض الناس كذلك بسبب هذه الآفة التى لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات التى لا تقيم حدود الله.**

**إن من آثار الإيمان بالله تعالى في دنيا الناس، أن يشيع التواد والمحبة والرحمة بين المسلمين، ولا يخفي ما لهذا البعد من أثر فاعل في طمأنينة النفس الإنسانية وسعادتها، فهل تستقيم هذه المعانى بين قوم يأكل بعضهم حقوق بعض، إن وجود الإيمان يعنى بصورة بدهية فقدان كل صور الانحراف الاقتصادى.**

**ولا يقف خطر التطفيف عند إصابة الأفراد بالأمراض النفسية، بل يتعدى ذلك إلى هدم الأمم والشعوب، فماذا ينتظر من أمة يأكل بعضها بعضا، ولا يثق بعضها في بعض.**

**إن الله تعالى حكى عن اليهود في القرآن الكريم ﴿ لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ ﴾[1]. "بأسهم بينهم شديد" (أي عداوتهم فيما بينهم شديدة،**

---

([1]) سورة الحشر الآية: ١٤.

**كما قال تعالى ﴿ ويُذِيقِ بَعْضَكم بأسَ بعضٍ﴾ فتراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين وهم مختلفون غاية الاختلاف) [١].**

**فلم يقم لهم بنيان بسبب هذه الروح الشريرة المتفشية بينهم، روح التآكل والتصدع، وكيف يقوم بنيان قوى بين أمة بهذه الصورة، حتى أقاموا كيانهم الآثم بين ظهرانينا حينما صار بأسنا بيننا شديدا، وانهزمنا أمام أنفسنا قبل أن يهزمنا عدونا.**

**لقد قرأت بعض التفسيرات العلمية الحديثة لقول الله تعالى ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [٢].**

**إن أنثى العنكبوت ما إن تخرج صغارها إلى الحياة حتى تبدأ في التهامهم، ولا ينجو منها إلا من كتب الله له الحياة، وهو من صور الإعجاز العلمى في القرآن الكريم، فليس المقصود ما يظنه البعض خطأ[٣]. أن الوهن في خيوط العنكبوت، بل يرى العلماء(أن المقصود – في الآية الكريمة – هو وهن البيت من الناحية**

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٦ صـ٣٧٦ –طبعة تمتاز بالمراجعة والتنقيح والتنضيد الجديد وفهرسة الأحاديث النبوية– ١٤١٢هـ=١٩٩٢م– دار المعرفة للطباعة والنشر– بيروت– لبنان.

(٢) سورة العنكبوت الآية: ٤١.

(٣) أثبت العلم أن خيوط العنكبوت أقوى من خيوط الفولاذ والنحاس وجميع المعادن المعروفة، فالخيوط الحريرية التي يفرزها العنكبوت لو جمعت في سماكة الأصبع لاستطاعت حمل طائرة ضخمة بكامل ركابها. فرغم أن خيط العنكبوت يبدو واهيا إلا أنه مقارنة بسماكته التي تقل ب٤٠٠ مرة عن شعرة الإنسان على درجة عالية من القوة والمرونة ... فهذا الخيط المصنوع من سائل بروتيني يتصلب عند ملامسته للهواء يمكنه التمدد إلى خمسة أضعاف طوله قبل أن ينقطع، وهو أقوى من الفولاذ بـ ٢٠ مرة، والألمنيوم بـ ٢٩ مرة وتبلغ قوة احتماله ٣٠٠,٠٠ رطل للبوصة المربعة –وهو ما دعا العلماء لتسميته ب «الفولاذ الحيوي» أو «الفولاذ البيولوجي» أو «البيوصلب».http://www.alriyadh.com/2005/08/30/article90935.html الموقع الإلكتروني لجريدة الرياض السعودية.

**الاجتماعية والأخلاقية لا المادية والميكانيكية؛ فبالمقارنة –حتى مع عالم الحشرات– يعد بيت العنكبوت «أوهن البيوت» من الناحية الأسرية وأكثرها أنانية وشراسة؛ فالأنثى تأكل الذكر بعد التلقيح وتأكل أبناءها بعد خروجهم من البيض كما الإخوة بعضهم البعض كلما سنحت لهم الفرصة) [١].**

**ولا نظن وهناً يصيب الأمم والشعوب أكثر من التآكل الأسري الذي يصل إلى هذا الحد، حين يتحول المجتمع إلى غابة، كل من فيها فريسة وصياد.**

**وقد بين الإمام ابن خلدون أن التطفيف من أعظم الظلم، ومن أسباب انهيار الأمم فقال: (وأعظم من ذلك – يقصد تسخير الناس بغير حق – في الظلم وإفساد العمران والدولة التسلطُ على أموال الناس بشراء ما بين أيديهم بأبخس الأثمان، ثم فرض البضائع عليهم بأرفع الأثمان على وجه الغصب والإكراه في الشراء والبيع)[٢]**

**ولقد كان من صور البناء التى قام بها النبى صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة أن منع التطفيف في الكيل والوزن، فعن (ابن عباس رضى الله عنه قال لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة؛ كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله سبحانه ﴿ ويل للمطففين ﴾، فأحسنوا الكيل بعد ذلك)[٣]**

**لقد غير الإسلام صورة الظلم في الأقوات، وتحول هؤلاء القوم إلى ما حكاه الله عنهم ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ**

---

(١) الموقع الإلكتروني لجريدة الرياض السعودية http://www.alriyadh.com/2005/08/30/article90935.html مقال نشر بتاريخ الثلاثاء ١٤٢٦/٨/٢٥هـ= ٢٠٠٥/٨/٣٠م.

(٢) مقدمة ابن خلدون صـ٢٨٩ بتصرف.

(٣) الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى – صحيح سنن ابن ماجه جـ٢ صـ١٩ حديث رقم ١٨٠٨ – ط٣ ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م – مكتب التربية العربى لدول الخليج – الرياض – السعودية.

**فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١].**

**إنهم لا يعطون الناس حقوقهم فحسب، بل ينزلون – راضين قريرة أعينهم – عن أعز ما يملكون لإخوانهم في العقيدة، وهى والله أعظم ثورة عرفتها الإنسانية على الأوضاع الخاطئة والممارسات الباطلة.**

**لقد جاء الإسلام بمنهج وسط في التعاملات الإنسانية بجميع أنواعها، فجاء فيها بتشريعات تتساوق مع الفطرة الإنسانية على مستوى الفرد، والفطرة الإنسانية في هيئتها الجَمَعية، في صورة الأمم والشعوب.**

**المناسبة بين عقاب الله تعالى لمدين وبين ما كانوا يقترفون:**

**يقول تعالى ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾[٢].، ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾[٣] ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[٤].**

**فيخبر عز من قائل في سورة الأعراف أنهم أُهلكوا بالرجفة، وفي سورة هود أنهم أهلكوا بالصيحة، وفي سورة الشعراء أنهم أخذهم عذاب يوم الظلة، ولا تعارض بينها، بل إنها ألوان من العذاب الإلهى أخذ الله بها الظالمين، والرجفة هى الزلزلة في الأرض، وهى حركة خارجة عن المعتاد، وأما الصيحة فالغالب أن الزلزلة لا تنفك عن الصيحة العظيمة الهائلة، ولا معارضة في أن تصاحب الرجفة**

---

(١) سورة الحشر الآية: ٩.

(٢) سورة الأعراف الآية: ٩١.

(٣) سورة هود الآيات ٩٤، ٩٥.

(٤) سورة الشعراء الآية ١٨٩.

**والصيحة العذاب من فوقهم متمثلاً في السحب التى أظلتهم فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم )[١].**

**لقد أرجف هؤلاء القوم بشعيب عليه السلام وبالمؤمنين معه، وتوعدوهم وقطعوا عليهم طريق الإيمان بالله تعالى، وطريق العيش الآمن، فأرجف الله بهم وأسكت شغبهم في الأرض، وكما استخدموا البيع والشراء – وهما صورة العيش الهانئ والحياة الرغيدة والجِدَة والوفرة في دنيا الناس – استخدموهما لاستغلال الخلق وأكل أموالهم بالباطل؛ فكذلك عرضت لهم هذه السحابة فلما التمسوا فيها البرد والظل أمطرت عليهم ناراً وأحرقتهم.**

---

([١]) ينظر تفسير الإمام الرازى مجلد ٧ جـ١٣ صـ١٨٤ بتصرف – ط١ – ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م – دار الغد العربى – القاهرة، وتفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير جـ٢ صـ٢٤٢ بتصرف.

**معالجة الإسلام للانحراف الاقتصادى:**

**أولاً: التأكيد على وجوب تحقيق معانى الإيمان بالله تعالى ورسوله:**

**وهو قاعدة الحياة الآمنة والمعاملات الرشيدة بين سائر بنى الإنسان، وهى في الإسلام في القمة التى لم تبلغها رسالة رسول من الرسل من قبل، ولا عجب فها هم أهل المدينة يتحولون من أخبث الناس كيلاً إلى قوم يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، إن الإيمان الذي ملأ قلوبهم، والعقيدة التى ملأت عليهم جوانحهم حالت بينهم وبين جشع النفوس وأطماعها، وانتقل بهم إلى درجة من الصفاء والشفافية ينكرون فيها الذات، ولا يرون إلا الكيان الإسلامى بأكمله وما يصله وما يرفعه.**

**ثانياً: الربط بين المؤمنين برباط المودة والمحبة:**

**ففي الحديث الشريف( المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله[١]... وله شاهد من حديث سهل بن سعد مرفوعاً بلفظ: إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس) [٢].**

---

(١) صحيح الإمام مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم حديث رقم ٦٧. تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي- دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان.

(٢) مسند الإمام أحمد الجزء السابع والثلاثون حديث رقم٢٢٨٧٧- تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون- الطبعة الثانية- ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م-مؤسسة الرسالة. وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة جـ٦ صـ٦٦ حديث رقم ٢٥٢٦ – ط١ – ١٤١٢هـ – ١٩٩١م – مكتبة المعارف – الرياض – السعودية.

**وأخرج الإمام البخاري بسنده (عن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى".**

**.. وعن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ما من مسلم غرس غرساً فأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له صدقة)[١].**

**وإذا كان المسلمون جسداً واحداً، فهل يصح في العقل أن تمتد يد هذا الجسد الواحد لتؤذى بعضها بعضاً؟ قد يحدث هذا في جسد مُخْتَل، لا يشعر بآلامه، أما الجسد السليم الصحيح فلا يمكن بحال أن تتم فيه هذه الممارسات الشاذة.**

**ثالثاً: الربط بين المؤمن وبين الكون برباط المودة والمحبة:**

**أليس هذا الكون صنعة الله، وكل ما فيه مربوب لله، وكل ما ومن فيه شريك لهذا الإنسان في مصدر الوجود، أليس الكون كله بكل ما ومن فيه متوجهاً إلى إله واحد هو خالق الكل ورب الكل ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾[٢].**

**يقول الله تعالى ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[٣].**

**(فعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ( بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان**

---

(١) صحيح البخارى جـ٥ – صـ٢٢٣٨، ٢٢٣٩ – كتاب الأدب – باب رحمة الناس والبهائم أحاديث ٥٦٦٥، ٥٦٦٦.

(٢) سورة الإسراء الآية: ٤٤.

(٣) سورة الممتحنة الآية: ٨.

**بلغ بى، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجراً ؟ فقال: في كل ذات كبد رطبة أجر).**

**وعن جرير بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: من لا يرحم لا يُرحم"**

**وعن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "ما زال يوصينى جبريل بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)[١].**

**ومن لا يقف طويلاً أمام قول النبى صلى الله عليه وسلم: (أحد جبل يحبنا ونحبه)[٢].**

**فأى مستوى هذا الذي بلغه الإسلام في إحداث التناغم والتناسق بين الحياة والأحياء، بل بين الإنسان وبين الجمادات حتى رأى النبى صلى الله عليه وسلم – وهو المتلقى الوحى عن الله تعالى – أن هذا الجبل الخشن فيه من مظاهر الحياة ما يجعله يُحِبُّ ويُحَبُّ.**

**فهل يمكن لهذه القلوب الجديدة التى جاء الإسلام ليصوغها وليهذبها على منهاجه أن تمتد أعينها فضلاً عن أيديها إلى ما في أيدى الناس؟! وكيف وهى مطالبة بالبر والرحمة حتى بالحيوان، ومطالبة بالحب والمودة حتى مع الجمادات.**

**رابعاً: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:**

**ويمكن أن يكون هذا الأمر بشكل من الأشكال التالية:**

---

(١) صحيح البخارى جـ٥ صـ٢٢٣٨، ٢٢٣٩ – كتاب الأدب – باب رحمة للناس والبهائم أحاديث ٥٥٦٣، ٥٦٦٧، وباب الوصاية بالجار حديث رقم ٥٦٦٨.

(٢) صحيح الإمام مسلم جـ٢ صـ١٠١١ – كتاب الحج، باب أحد جبل يحبنا ونحبه – حديث رقم ١٣٩٢، والحديث عن أبى حميد قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وساق الحديث، وفيه: " ثم أقبلنا حتى قدمنا وادى القرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنى مسرع فمن شاء منكم فليسرع معى، ومن شاء فليمكث، فخرجنا حتى أشرفنا على المدينة فقال: هذه طابة، وهذا أحد وهو جبل يحبنا ونحبه".

**أ–الخطاب المباشر للخارجين:**

**من أهم وسائل علاج الانحراف الاقتصادى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والتذكير بوعيد الله تعالى للمطففين والمعتدين على حقوق الناس، وسيدنا شعيب عليه السلام مارس هذا النوع من التذكير ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴾(١) ، ويقول جل جلاله ﴿ أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴾(٢).**

**وإذا كانت سنة الله تعالى في هذه الأمة ألا يصيبها بعذاب عام، فإن هذا لا يمنع ما يحل بالناس من الغلاء والوباء واشتداد البأس فيما بينهم، وافتقادهم لأسباب عزهم وكرامتهم، فيعيشون هملاً على هامش الحياة لا قيمة لهم عند الله ولا عند الناس، وهى والله – لأولى الألباب – عذاب عام، ولكن أكثر الناس لا يفطنون إلى مراد الله تعالى منه.**

**ب–رفع الشكوى لأولى الأمر:**

**وهناك مرتبة في التغيير تتمثل في رفع الأمر إلى ولاة الأمر، وتكاتف الناس ضد الباطل، ضد المطففين والمحتكرين، وملاحقة أعوانهم، وعدم الاستكانة والاستنامة، فإن من أعظم الأدواء التى يفشو بها الكرب بين المسلمين سكوتُ الناس عن الباطل، واللامبالاة و "الأنا مالية" التى تفشت بين المسلمين، والمسلم عزيز، وهذه سنة الله تعالى في أهله ﴿ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾(٣).**

---

(١) سورة هود الآية: ٨٤.

(٢) سورة المطففين الآية: ٤ .

(٣) سورة المنافقون الآية: ٨.

**وقد ورد عن أمير المؤمنين عثمان ﷺ قوله :"لمَا يزع السلطان الناس أشد مما يزعهم القرآن"[١].**

**ولا يسع الناس أمام الاحتكار والمَكْس والتطفيف أن يسكتوا، بل لابد من الإيجابية، ولو كانت هذه الإيجابية مقاطعة المطففين والمحتكرين، لقد جاء الإسلام بروح جديدة، تصل العبد بربه، فهو عبد لله وفقط، لا يخاف إلا الله ولا يقف إلا على بابه، ولا يسأل إلا هو، ومن ثم فلا يخاف أحدا سواه، ويصدع بكلمة الحق لا يخاف في الله لومة لائم، وعلى قدر نصيب العبد من هذه الروح، على قدر تدرجه في مدارج الصعود إلى ربه سبحانه، فما أحوجنا في عصرنا إلى هذا الإيمان الذي يربط العبد بربه وخالقه، ويأخذ بحُجُزِ الإنسان عن الظلم، ويرُده عن البغى، وما أحوجنا إلى روح المودة والرحمة التى يجب أن تسود بين المسلمين، وما أحوجنا إلى الفهم الشامل لمعنى الآدمية الذي جاء به الإسلام ليصنع المسلم الذين يعاين وحدة الباري تعالى الذي خلق الخلق والوجهة التى يسير إليها كل الوجود.**

**وما أحوجنا إلى الإيجابية التى تشيد الحياة الكريمة الآمنة المستقيمة على منهاج الله..**

---

(١) أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري- تاريخ المدينة- ما سن عثمان ﷺ من الأذان الثاني يوم الجمعة حديث رقم ١٥٨٥-جـ٣ .٩٨٨-تحقيق فهيم محمد شلتوت- دار الفكر-قم- إيران.

**خاتمة:**

**إن عرض الإسلام لقصة شعيب عليه السلام يمثل نموذجا حقيقيا لأصالة القصص القرآني وهيمنته على تحريفات أهل الكتاب، فأين الابتسار والنقص الذي في عرض العهد القديم من القصص المتكامل في القرآن الكريم لقصة من أهم قصص الأنبياء، قصة أصيلة في تناولها لجانب من أهم جوانب الحياة، وتدل دلالة واضحة على أن هذا الدين جاء ليسوس ويحكم.**

**لقد عرض العهد القديم صورة حمي موسى عليه السلام كرجل حكيم أحسن إليه، وخلفه بخير في أهله، وذلك في بضع فقرات من كتاب شيمته الأساسية الإسهاب الواضح، وإذا به يكتفي بعرض حياة هذا الرجل الصالح في فقرات قليلة شحيحة في معطياتها.**

**وهنا ينتصب القرآن الكريم مصدقا ومهيمنا، ويعرض لنا صفحة من أروع صفحات قصص الأنبياء، تحتاج إليها الأمة في تصحيح حاضرها وبناء مستقبلها.**

**لقد رُزأت ديار الإسلام بطائفة من البشر تبجحوا برفض شريعة الله تعالى حَكَمَا بين الخلق، وقبسا يسيرون في هديه، ورفعوا بدلا منها قوانين البشر تُجتَلب من هنا أو من هناك، وفي هذا خلل في التفكير، وضلال في القلوب وصغار في النفوس، وليس لهم مرجعية في دعواهم هذه إلا التقليد الأعمى لأوروبا التي عزلت الكنيسة ورجالها عن واقع الحياة؛ إذ كان رجال الدين عندهم صداعا مُشَتّتا، وكابوسا على صدور البلاد والعباد، ولما تخلصوا من سيطرة الكنيسة تقدموا وترقوا، فظن العميان ممن يسمون أنفسهم بالتنويرين أن التقدم والرقي في بلادنا قرين عزل الإسلام عن واقع الحياة، وتحويله إلى تراتيل وأذكار، وهذا والله تعميم فاسد، فضلا عن كونه تطاولا على الله، وسوء ظن في شريعته جل وعلا، وعمى عن الحق.**

**ولقد كانت هذه الصفحات السابقة دليلا على شمولية الإسلام، وعلى أنه نظام شامل يتناول كل مظاهر الحياة، وأنه دين ودولة، وليس مجرد عبادات تقام معزولة عن تدبير شئون الخلق فيما بينهم بعضهم بعضا، وفيما بينهم وبين غيرهم.**

**فهذا نبي ورسول ينزل الله تعالى عليه شريعة نصفها التوحيد، والنصف الآخر إصلاح الخلل الاقتصادي الذي رزحوا تحت نيره، وأرهقوا به الخلق وأغضبوا به الخالق سبحانه وتعالى.**

**فتبين لنا اهتمام القرآن الكريم بإصلاح معايش الناس، ووضْع أسس عادلة تأخذ على يد المعتدين، وتضمن للناس حياة في ضوء شريعة الباري سبحانه وتعالى ورحمته ولطفه بخلقه، وصدق الله العظيم ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آَتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾**[1].

**أسأل الله تعالى أن يَعُم البلاد والعباد بالأمن والأمان والراحة والاطمئنان، وأن يرفع عنا البلاء والوباء، وأن يردنا إليه رداً جميلاً.**

**وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.**

---

([1]) سورة المائدة ٤٨: ٥٠.

**أهم المراجع**

**١- الإمام أحمد بن حجر العسقلاني – فتح البارى بشرح صحيح البخارى – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى – محب الدين الخطيب – ١٣٧٩هـ – دار المعرفة – بيروت – لبنان.**

**٢- الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري- الكشف والبيان – الطبعة الأولى-١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م- دار إحياء التراث العربي-بيروت-لبنان.**

**٣- الإمام أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد- الطبعة الثانية-١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م-دار الكتب العلمية-بيروت- لبنان.**

**٤- الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي – البداية والنهاية – ط٥-١٤١٨هـ-١٩٩٨م – دار الحديث – القاهرة – مصر.**

**٥- الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي – تفسير القرآن العظيم – الطبعة الثانية- ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م- تحقيق سامي بن محمد سلامة- دار طيبة للنشر والتوزيع- السعودية.**

**٦- جمان من فضة قاموس أعلام الكتاب المقدس صـ٢٠٩- مكرم مشرقي – الطبعة الأولى- ٢٠٠٠م-مكتبة الإخوة- شبرا- مصر.**

**٧- دائرة المعارف الكتابية- إعداد نخبة من أشهر أساتذة الكتاب المقدس واللاهوت.**

**٨- الإمام عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – الطبعة الأولى- ١٤١٣هـ=١٩٩٣م- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.**

٩- د.عبد الرحمن بدوي- مناهج البحث العلمي -دط-١٩٦٣م- دار النهضة العربية- القاهرة-مصر.

١٠- العلامة عبد الرحمن بن خلدون – المقدمة – ط٥- ١٩٨٤م – دار القلم – بيروت – لبنان.

١١- د. على جمعة محمد- المكاييل والموازين الشرعية – الطبعة الثانية-١٤٢١هـ=٢٠٠١م- القدس للإعلان والنشر والتسويق-القاهرة-مصر.

١٢- الإمام محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – دط – دت – دار الريان للتراث – القاهرة – مصر.

١٣- الإمام محمد بن إسماعيل البخاري – صحيح الإمام البخارى – كتاب العلم باب من سئل علماً وهو مشتغل في حديثه – ط٣ – ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م – تحقيق مصطفي ديب البغا – دار ابن كثير اليمامة – بيروت – لبنان.

١٤- الإمام محمد بن عمر بن الحسين الرازى – مفاتيح الغيب – ط١ – ١٤١٣هـ ١٩٩٢م – دار الغد العربى – القاهرة.

١٥- الإمام محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي- تفسير الفخر الرازي – دار إحياء التراث العربي- القاهرة-مصر.

١٦- الإمام محمد بن يزيد القزويني – سنن ابن ماجه – طبعة دار إحياء الكتب العربى – مصر – تحقيق العلامة محمد فؤاد عبد الباقى.

١٧- العلامة محمد ناصر الدين الألبانى – صحيح سنن ابن ماجه – ط٣ – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م – مكتب التربية العربى لدول الخليج – الرياض – السعودية.

١٨- العلامة محمد ناصر الدين الألباني – السلسلة الصحيحة – ط١ – ١٤١٢هـ – ١٩٩١م – مكتبة المعارف – الرياض – السعودية.

١٩- الإمام مسلم بن الحجاج القشيري- صحيح مسلم – دط – دت – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى – دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان.

٢٠- د. مصطفى عبد الكريم الخطيب – معجم المصطلحات والالقاب التاريخية – ط١-١٤١٦هـ-١٩٩٦م – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان.

٢١- الإمام مطهر بن طاهر المقدسى – البدء والتأريخ – دط – دت – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – مصر.

٢٢- أ/ نجيب العقيقي – المستشرقون – بدون ت – دار المعارف – القاهرة.

٢٣- الإمام نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي- بحر العلوم – تحقيق د. محمود مطرجي- دط- دت- دار الفكر – بيروت- لبنان.

٢٤- د. نعمت عبد اللطيف مشهور – أساسيات الاقتصاد الإسلامى – ط٣ – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م – عالم الغد – القاهرة – مصر.

٢٥- العلامة ياقوت الحموى – معجم البلدان – دت- دط – دار الفكر – بيروت – لبنان.

٢٦- الإمام يحيى بن زكريا النووي – صحيح الإمام مسلم بشرح النووى – طبعة مؤسسة مناهل العرفان – بيروت – لبنان – مكتبة الغزالى دمشق سوريا.

**الفهرس**

**مقدمة: - ٣٤٢ -**

**منهج البحث: - ٣٤٧ -**

**تمهيد: - ٣٤٩ -**

**شعيب عليه السلام في العهد القديم: - ٣٥١ -**

**آراء المفسرين في قوله تعالى ﴿ وأبونا شيخ كبير ﴾: - ٣٥٢ -**

**الرأي الراجح: - ٣٥٥ -**

**خلاصة قصة "شعيب" أو "حمي موسى" كما جاءت في العهد القديم: - ٣٥٥ -**

**حديث القرآن عن شعيب عليه السلام: - ٣٦٠ -**

**قوم سيدنا شعيب عليه السلام: - ٣٦٢ -**

**صور الانحراف الاقتصادي عند قوم شعيب عليه السلام: - ٣٦٥ -**

**أولا: الانحراف بالتطفيف: - ٣٦٥ -**

**مفهوم التطفيف: - ٣٦٧ -**

**تطفيف الكيل والميزان: - ٣٦٧ -**

**موقف قوم شعيب منه عليه السلام: - ٣٦٨ -**

**أسباب تطفيف الكيل والميزان عند قوم شعيب عليه السلام: - ٣٦٨ -**

**أ- الكفر بالله تعالى سبب الاستطالة على الخلق: - ٣٦٩ -**

**ب- ازدراء الناس والاستخفاف بعقولهم: - ٣٧٢ -**

**ج-ظهور الطبقية البغيضة: - ٣٧٢ -**

**ثانياً: الانحراف بممارسة الاحتكار: - ٣٧٣ -**

**محاربة الإسلام لظاهرة الاحتكار: - ٣٧٤ -**

**رأى الإمام ابن خلدون في الاحتكار: - ٣٧٦ -**

**ثالثاً: الانحراف بممارسة المكس: – ٣٧٨ –**
**محاربة الإسلام للمَكْس: – ٣٧٨ –**
**المكس من علامات انهيار الأمم: – ٣٧٩ –**
**رابعاً: الانحراف بالجَلَبُ وتلقى الركبان: – ٣٧٩ –**
**محاربة الإسلام للجلب وتلقى الركبان: – ٣٨٠ –**
**ولا تبخسوا الناس أشياءهم: – ٣٨١ –**
**الأبعاد النفسية للانحراف الاقتصادى: – ٣٨٤ –**
**المناسبة بين عقاب الله تعالى لمدين وبين ما كانوا يقترفون: – ٣٨٨ –**
**معالجة الإسلام للانحراف الاقتصادى: – ٣٩٠ –**
**أولاً: التأكيد على وجوب تحقيق معانى الإيمان بالله تعالى ورسوله: – ٣٩٠ –**
**ثانياً: الربط بين المؤمنين برباط المودة والمحبة: – ٣٩٠ –**
**ثالثاً: الربط بين المؤمن وبين الكون برباط المودة والمحبة: – ٣٩١ –**
**رابعاً: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر: – ٣٩٢ –**
**خاتمة: – ٣٩٥ –**
**أهم المراجع – ٣٩٧ –**
**الفهرس – ٤٠٠ –**